المُبدعون ..... غرباء عن هذا العالم

الولادات الجديدة

(ولادة الأفكار القيصرية)

الأب يوسف جزراوي

جميع الحقوق محفوظة

لذا يُمنع نسخ أو أقتباس أو طبع أو نقل أي جزء من الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو الكترونية أو وسيلة نشر أخرى، دون إذن خطي من المؤلف.

المؤلف: الأب يوسف نبيل جزراوي

الطبعة الأولى(1000) نُسخة/ سدني 2011

المُنقح اللغوي: الشاعر اللبناني شربل بعيني

تقديم: يوحنّا بيداويد + توفيق لابا

الإخراج الفني للغلاف والكتاب: أ.ي.ج

مُحتوى الكتاب

تقديم الكتاب..... كلمة يوحنّا بيداويد
كلمة المؤلف
شهيد الحُبّ: الرب يسوع المسيح
البابا يوحنّا بولس الثاني
فيدور دستوفسكي
هيلين كلير
فرانز كافكا
شارلي شابلن
غوته
ألبير كامو
صموئيل جونسون
يوكيو ميشيما
جبران خليل جبران
سيمون دوبوفوار
جيمس دين
بول سيزان
جاك رمز المُحبين
بيتهوفن
كولن ولسون
فينسيت فان غوغ
بيكاسو
سلفادور دالي
هيجل
القديس دون بوسكو
المؤرخ العلاّمة الأب بُطرس حدّاد
اللاهوتي العلاّمة الأب يوسف حَبّي
عمو بابا أسطورة الكرة العراقية
هنري ولسن
الخاتمة
-وجوه مُختارة.....عن الموسوعة الحرة
- الجديرون بالإكرام .... بقلم توفيق لابا

الإهداء

-إلى كل الشخصيات الواردة في الكتاب، شخصيات عاشت في إعماقي وعششت في فكري، تأثرت بها وتعلمت منها الكثير.. وإلى كل المبدعين الذين لم تنصفهم الظروف والحياة، أقول لهم: الإبداع هو الصليب.

- إلى مَن منحتني حياة ملؤها الحُبّ وعلمتني الكثير، والتي تعود لها إنجازاتي ونجاحاتي وتعيش حياتها معي في صلاة وإنتظار وترقب دائم؛إنتظار الإستقرار،فما أن رآتني حتّى أطلب منها أن تعد لي حقيبة الترحال من جديد،فالحياة سفر وترحال دائم،ووحده المسافر يدرك معاني الحياة، لأن السفر خبرة وإكتشاف ودراية وتعلم.

- إلى روح أستاذي الجليل بُطرس حدّاد، المؤرخ والكاهن العلاّمة الذي أفتقده كثيرًا، لقد قضى حياته المُثمرة سائحًا في كتب التاريخ والإستشراق ومراجع التُراث،فابدع وبصم بصمته في جبين التاريخ، فعاش خلودًا أبديًا. وإلى رفيق دراسته ودربه أستاذي العظيم العلاّمة الكبير المرحوم الأب يوسف حَبّي، ذلك الغائب الحاضر،فلو كان موجودًا اليوم بيننا لكان حالنا أفضل بكثير وكثير. وإلى روح أسطورة الكرة العراقية الكابتن عمو بابا الذي جمعتني معه لقاءات وذكريات لا تنسى.

-إلى روح الأب روبير الكرملي، شيخ الروحانيات المشرقية، الذي علمني أن أُعطي معنى لكُلِّ مفاصل الحياة. رحمه الله.

-إلى روح والدي نبيل جزراوي رحمه الله الذي أبدع في حياته العملية والعائلية والإنسانية، فعاش حضورًا حياتيًا، جعله في خلود أبدي في نفوس كل من عرفه وعاشره. رحمه الله ونفعنا بصلاته، إذ أخصص ريع هذا الكتاب لمساعدة الفقراء في العراق، هذا البلد الذي أحبه بكل جوارحه ورفض مغادرته وهجرته رغم أحلك الظروف، فليكن ريع هذا الكتاب للفقراء لكيما تستمر رسالته في الحياة مع الفقراء الذين أحبهم، فقد كان الأب والمُعلم والصديق ويد الخير الخفية للكثيرين في الخفاء. فمنه تعلمت حبّ العطاء، والعطاء ربح وفير؛ فيه سعادة لا توصف.

-إلى نبيل بشار نبيل جزراوي، ذلك الحفيد الجميل، الصغير الكبير ،الذي تلوح في الأفق بشائر الإبداع والتميز والمواهب فيه رغم صغر سنه! آملاً أن ينمو بالحكمة والقامة والمعرفة، ليختبر الحياة ويستوعب ما هو جوهري ومفيد فيها، ليبدع وينتج ولو بقسط قليل كما أبدع جده المرحوم نبيل جزراوي، وعمه الكاهن، كاتب سطور هذا الكتاب.

- إلى أحبائي القراء أهدي كتابي(ولدي) العشرين.

مع محبتي للجميع.

أ.ي.ج

سدني2011/9/30

مدخل

- **إنك أنت من يصنع ذاته يُحدد قيمة نفسه،لذا ليتك لا تقبل باقل من ذاتك الفريدة، لأنها منجم المواهب والكنوز ومصدر الإبداع، أملي أن تتمكن من إيلاء القيمة الحقيقية لذاتك رغم كل الصعاب والمحن لتشرق إنسانيًا وتغدو وميض نور يستنير الناس بنورك، فالإنسان الذي لا ينتج ويثمر ويبدع ويعيش لخير الآخرين، لا يستحق الخلود، ووحده المبدع الذي يتمكن من أن يترك وراءه أثرًا، وبقدر عمق وحجم الأثر، بقدر ذلك سيكون حجم ونوعية خلوده. فلا تكن رقمًا بل مُبدعًا، ومن هنا ستبدأ قصّتك مع الخلود.**

(من كتاب خلجات الذات الجريحةج2 للأب يوسف جزراوي).

- كما أن الحبّ هو الصليب كذلك هو الإبداع، فكل إبداع ولادة، وكل ولادة مخاض، ولكلّ مخاض عذابه الخاص ومُعاناته، فإذا كانت المرأة تتعذب بالولادة بضع مرات في حياتها، فإن الأديب والكاتب والمُفكر والفنان والمبدع يتعذبون كل يوم إلى نهاية العمر، لأنهم يعرفون كثيرًا ونظرتهم للحياة مُختلفة، فهم أكثر عمقًا وحسًا ودفئًا وصدقًا وإنسانيًا. نظرتهم للحياة تجعلهم يبدعون أكثر، وولادة الأفكار القيصرية مُستمرة عندهم! ويظل المُبدع غريب عن هذا العالم ولا يشعر بالإنتماء إليه، فمن يعرف ويدرك أكثر يحزن ويعاني أكثر! فللمعرفة ضريبتها! **(من كتاب الولادات الجديدة للأب يوسف جزراوي).**

- **أن تكونَ مُفكرًا وعارفًا، يعني إنك ستكون مُثمرًا مُتميزًا، فتتميز، وهذا يعني إنك ستكون موضع حسد وغيرة وإضطهاد، وستكون حياتك مُجرد صراع مستمر! أتعلم لماذا؟! لأنك لا تُقاد كبيدق الشطرنج، ولإنك لأتجهل الأمور. ولكن لا تبالي فالشجرة المُمرة هي التي تُضرب بحجر.**

صدقوني لا يتمتع بهذه الدنيا سوى البسطاء الذين لا يهمهم من هذه الدنيا سوى قوتهم اليومي.

(من كتاب تأمّلات من حياة كاهن للأب يوسف جزراوي، ط1 القاهرة).

تقدّيم

كلمة يوحنّا بيداويد

مرة اخرى يضع الأب يوسف جزراوي مؤلفاً جديداً بين ايدي قُرائِهِ يحمل عنوان " المبدعون.... غرباء عن هذا العالم ". هذا المؤلف هو دراسة مختصرة لسيرة بعض الشخصيات التاريخية التي كانت غريبة بين مجتمعاتها، لكن بعد موتهم اصبحوا من مشاهير العالم في مجالات كثيرة، مثلاً في مجال الفكر الفيلسوف الكبير هيجل والكاتبة اليسارية سيمون دوبوفوار والشاعر غوته وفي مجال الفن الرسام الكبير فان كوخ وبيكاسو وسلفادور دالي أو الموسيقار بيتهوفن، وفي مجال الكتابة الكاتب الخالد دستويفسكي وكافكا وجبران خليل جبران .

لكن كتاب الاب يوسف جزرواي لم يخلُ من الشخصيات الروحية المسيحية المؤثرة كشخصية القديس دون بوسكو. وتطرق عن شخصية السيّد يسوع المسيح نفسه، فبدا كتابه بوصف تصرفاته الغريبة المناقضة لواقع مجتمعه، الامر الذي جعل من اليهود يرفضونه ويحاولون قتله وفي النهاية يحكمون عليه بأشد عقوبة في ذلك العصر وهي الصلب، لكنه يسوع المسيح يموت ويقوم ويصبح معلماً ومخلصاً للعالم من الخطيئة، حيث يقول في احد مقاطعه :"عانى السيّد المسيح ما عاناه وصلب، أتعلمون لماذا؟ لأنه لم يكن قاضيًا بل مُحاميًا مُدافعًا عن حقوق الإنسان، ولاسيّما الضعفاء.

عانى السيّد المسيح وصلب لأنه كان يُمارس الطبّ بطريقة غير شرعيّة ويشفي المرضى والمتألمين. ولأنه كان يصنّع الخمر ويشارك الناس أفراحهم ويقاسمهم أحزانهم ودموعهم. لأنه كان يُكثر الطعام ويوزّعه بدون رخصة.

ـ لأنه كان طيب القلب مسامحًا للخاطئين وغافرًا للتائبين.

ـلأنه كان يهتم بصغار القوم والمهمشين والمرذولين.."

ما الذي سيكتشفه القاريء الكريم بدون شك في هذا الكتاب ايضاً، هو ان الأب جزراوي كان امينا جداً لاساتذته والمشرفين على تربيته وتعليمه، احتراماً وتقديراً لجهودهم معه وتعلقه الشخصي بهم بعد ان اثروا على حياته الفكرية، لا سيما الذين شجعوه ان يمضي قدماً في مجال الفكر والابداع والبحث والكتابة، نراه يختار اثنين من هؤلاء

المعلمين الذين يجد نفسه قريباً ومديناً لهم، هما المرحوم الأب الدكتور بطرس حداد والمرحوم الأب الدكتور يوسف حبي اللذين يعدان بالفعل من عمالقة الفكر في الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية خلال القرن العشرين من خلال عطائهم الروحي والفكري والانساني سواء كانت عن طريق محاضراتهم وكتبهم أو ابحاثهم أو مقالاتهم الكثيرة المنشورة في مجلات بين النهرين ونجم المشرق والفكر المسيحي وغيرها. لهذا يستحق الأب جزراوي كل الثناء والتقدير على هذه الاخلاق المسيحية الصادقة العالية ، فهو يذكرني بموقفه هذا بالقول" من علمني حرفا.... ملكني عبداً".

مع الاسف قليل من الناس يدركون ان المعرفة والثقافة والحضارة بل السعادة التي نعيشها اليوم و التي نتمتع بها، ما هي الا نتاج فكري من اعمال هؤلاء العباقرة الغرباء والباحثين والمؤلفين والمخترعين، انهم بالحق يشبهون تلك الشموع الذي ظلت سنين طويلة تشع النور من القمم العالية امام الجموع البشر الكثيرة لتعلمهم القيم الانسانية الحقيقية، التي يحتاجها مجتمعنا في كل عصر وحضارة. فعلى الرغم من ان هؤلاء الابطال كانوا مغمورين غير معروفين في مجتمعهم وواقعهم، لكنهم اصبحوا ابطالاً للانسانية وقادة لقومياتهم واوطانهم بعد مماتهم بعدما اطلع الناس على انجازاتهم وتضحياتهم وابداعاتهم ودفاعهم عن الحق والعدالة او دافعوا عن فكر المتنور الذي جعل تطور المجتمع امراً ممكناً.

إن كان من كلمة يجب أن نقولها بحق الأب جزرواي في جهوده الكثيرة في التاليف والكتابة، فانني احييه على حبه الكبير للبحث والتقصي والتأليف الذي يهدف الى فائدة الجيل الحاضر او الاجيال القادمة من كتاباته . فعلى الرغم من عمره الصغير (ثلاثة وثلاثون عاما) لكنه انتج عدداً من المؤلفات المختلفة الاحجام والمحتوى، الامر الذي لا يحتاج الى الشك ان هذا الإبداع يحتاج الى التضحية وبذل الجهد الكبير في المطالعة والتقصي كي يمتلك المادة والامكانية الفكرية الضرورية في التاليف. وفي الختام نتمى له الموفقية في مسيرته الكهوتية والفكرية وللقراء الاعزاء الاستمتاع والفائدة من مطالعتها.

يوحنا بيداويد

10 تشرين الاول 2011 ملبورن/استراليا

كلمة المؤلف

كيف بدأت فكرة الكتاب؟

ذات يوم كنتُ اتسامر مع أحد المُفكرين على ضوء الشموع وقال لي: هل جربت مرة يا أبانا أن تشعل شمعة من طرفيها، وليس من طرف واحد؟

قلت له: كلا! قال: لماذا؟! قلت له: يا صاحبي من المؤكد إنك لو فعلت هذا فسوف تختصر عمر الشمعة إلى النصف، وتُعجل بذوبانها وفنائها في أقصر وقت.

إبتسم صاحبنا إبتسامة المُفكرين المُبدعين، وقال: هذا هو حالي وحالك وحال الكثيرين من الأدباء والكُتّاب والمُفكرين والمُصلحين والفنانين والمطربين الكبار، فقد أشعلوا شمعة حياتهم من طرفيها؛ فأكتووا بنار الإبداع والعطاء والإنفعال المُستمر والتفكير والإحساس الدائم بعدم الرضا عما يبدعون ويكتبون وينتجون، فاحترقت حياتهم بالمعاناة والإضطهاد والتهميش وعدم التقييم .... إنهيتُ ليلتي مع صديقي المُفكر، لكن هذا الحوار وهذه الأفكار لم تنتهِ من ذهني، فكان هذا الكتاب.

حين أقف أمام لوحة شهيرة في متحف **فان غوغ** في مدينة امستردام الرائعة بهولندا، او أحضر حفلاً موسيقيًا في دار اوبرا بمدينة هارلم الهولندية أو اتأمل تحفة رائعة في متحف **اللوفر** في باريس أو أشاهد مسرحية على خشبة أحد المسارح أو عندما أجلس امام مكتبي وأقرأ عملاً أدبيًا أو أطالع كتابًا مُفيدًا سلسًا غنيًا بالمعاني لأحد الكُتّاب العظام، قد يفسد عليَّ بعض مُتعتي بما أقرا أو أسمع أو أشاهد لما تكبده (مُبدع العمل) الذي أبدعه من فكر وإنفعالات وسهر الليل ووقت وعزلة وعناء لكي يفرز لي وللجميع هذا (الرحيق) البديع الذي استمتع به بلا عناء.

يسيل لُعابي إزاء عمل مُبدع وتسيل دموعي أحيانًا حينما أعرف شيئًا عن سيرة حياة المُبدع الذي إنتج لنا هذا العمل الذي امتعني

ويستمتع به الكثيرون ويستفيدون منه عبرًا لحياتهم، ولم يستمتع هو غالبًا بحياته ولا بأوقاته...بل عاش مُتألمًا، مُنعزلاً، مُرهقًا يعمل الصباح ويسهر الليل، ويشكو من عدم تقدير الناس وفهمهم له، وإنتقادهم لإبداعه في حياته ....وينهي حياته بنهاية مأساوية.
هكذا هو حال الكثير من المُبدعين، فصدقوني وحده المُبدع هو غريب عن هذا العالم ولا يشعر بالإنتماء إليه، فمن يعرف ويدرك أكثر يحزن ويعاني أكثر! فللمعرفة ضريبتها!
هذا هو حال المُبدعين والمُفكرين والعارفين الخلاّقين الذين أضافوا شيئًا للوجود وبصموا بصمتهم في جبين الحياة وصنعوا التاريخ!
جميل أن يكونَ للإنسان قضية حياة يحيا في سبيلها، وفي هذا الكتاب شخصيات عاشت في فكري واعماقي لنبالة قضيتهم، وحين جلست في صومعتي لكي أُعد هذا الكتاب، تزاحمت الشخصيات في فكري وأضاء ابداعها اعماقي، فحترتُ ماذا أختار منها للكتاب. وبعد تأمُّل وتفكير وصلاة ولقاء مع الذات، أخترت هذه المجموعة الصغيرة منها، وبقيت المجموعة الأكبر حبيسة بين جدران فكري، لعل الظروف تسعفني ونعمة الرب تمكنني يومًا من أخراجها للعلن في كتاب من الحجم الكبير ليتنور بابداعها الأخرون.

سنوات طوال وأنا أتردد في إصدار هذا الكتاب، ولما حان وقت الإبداع، أخرجتُ هذه الشخصيات التي إبدعت إلى أحبتي القراء،إيمانًا مني بأن لكلٍّ ساقطة لاقطة. ولكي أُتيح للجميع التعرف على بعض ألوان حياة هذه الشخصيات، ناخذ منها العبرة ونرتقي بمستوى معارفنا وتجاربنا الإنسانية. ومن الله التوفيق.

يوسف
سدني 2011/9/28

شهيد الحُبّ: يسوع المسيح

في الإنجيل المُقدس سنجد علامات عديدة على ان يسوع الإنسان عانى كثيرًا وواجه ظروفًا صعبة وقاهرة، لكنّه رغم كل شيء بقي أمينًا لابيه السماوي.

- ولادته كانت في الاسطبل، ومنذ أيامه الأولى كان هيرودس يلاحقه ليقضي عليه.

- محاربة الكهنة والفريسيين ورفضه من قبل بعض الشعب الذي راح يطلق عليه الكثير من الاتهامات ويرميه بحجر الإنتقادات والإشاعات كما يحدث لكهنته اليوم ولاسيّما المثمرين منهم!

- تجارب ابليس له: إذ دعاه المُجرب للإبتعاد والتخلي عن ارادة ابيه ورسالته، وما قدمه له من اغراءات، لكن المُجرب فشل في مسعاه وبقى يسوع أمينًا لقضيته.

- جاء في إنجيل يوحنّا 6/66-67: إنَّ الكثير من التلاميذ ينسحبون بعد حديث المعلم عن خبز الحياة " فارتدّ عندئذ كثير من تلاميذه وانقطعوا عن السير معه. فقال يسوع للاثني عشر: افلا تريدون ان تذهبوا انتم أيضًا". وليس هناك أصعب من ان يعيش واحدنا شعور تخلي الآخَرين والتنكر له !

- مُلاحقة رؤساء الكهنة والفريسيين ومطاردتهم له؛ حتّى انه شعر بخيبة أمل ليذهب نحو نواحي صور وصيدا مُبتعدًا عن الجموع وعن تلاميذه وأمه، وإذ بأمرأة كنعانية وثنية تعترض طريقه لتبدأ له رسالة جديدة في عالم وثني بعد ان رفضه أهل بلدته!

- صراعه الشديد بين ارادته وارادة الله . يسوع كإنسان شاب أبن 33 ربيعًا لا أكثر لم يكتفِ بعد من الحياة، مُتشبثًا بها. لا يزال لديه الكثير ليقدمه. فتراه كأي إنسان في بستان الزيتون يصارع الموت فازعًا منه، لكنّه رغم كل شيء يستسلم لارادة أبيه " أبتِ إن إمكن فلتبعد عني هذه الكأس ... لكن لا كما أشاء أنا، بل كما تشاء أنت ".(متّى 26- 39).

- ألمه ازاء خيانة بعض تلاميذه ومواقف الناس المُتلونة. إذ وقف حائرًا مُتسائلاً ازاء ازدواجيتهم. فالشعب الذي نادى في الشعانيين (اوشعنا) فرحًا يلوح باغصان الزيتون وسعف النخيل هو نفسه ينادي في جمعة الآلام: (أصلبه)! ليفضلوا عليه في نهاية المطاف لصًا! فلأسف كانت ولاتزال الإزدواجية هي المُشكلة الازلية للكثير من الناس.
- خيانة تلاميذه له وهروبهم ونكرانهم وانسحابهم عنه. وليس هناك اصعب و أقسى من ان يخونك الآخَرون، بل يبيعونك لاسيّما إذا كانوا اقرب المقربين اليك!
- أتامله واقفًا أمام بيلاطس وهو جالس على كرسيّ الحكم. والشعب وشيوخه ورؤساؤه واقفون أمامه يصيحون معّبرين عن بغضهم وغيرتهم وجهلهم (أصلبه..أصلبه). امّا يسوع فكان صامتًا مُصليًا متألمًا بصمت وهدوء....
- من شدة الالم والعذاب علاوة على التخلي والهجران ومواقف الناس المتناقضة وقساوة الصليب، يصرخ يسوع في لوعة قلب (الهي الهي لماذا تركتني؟!) صرخة مُعبرة عن عمق واصالة إنسانيته ومعاناته وألمه، فالإناجيل لا تصور لنا يسوع مُستهزئاً بالصليب غير مبالٍ له، بل تصوره كأي إنسان مسحوقًا بالالم .
-استهزاء لص اليسار والجنود وقادة الكهنة والشعب به. ولعل جُلَّ مُعاناته تجلت في نظرة الوداع لامه العذراء مريم . وكم هو صعب على الأم ان ترى ابنها يموت أمام أنظارها.
أمام كل هذه المُعاناة والمُحن بقي يسوع أمينًا في حبّه لأبيه وامينًا لقضيته ورسالته، ليغمض عينه بين يديه (أبتِ بين يديك استودع روحي).
عانى السيّد المسيح ما عاناه وصلب، أتعلمون لماذا؟
لأنه لم يكن قاضيًا بل مُحاميًا مُدافعًا عن حقوق الإنسان، ولاسيّما الضعفاء.

عانى السيّد المسيح وصلب لأنه كان يُمارس الطبّ بطريقة غير شرعيّة ويشفي المرضى والمتألمين. ولأنه كان يصنّع الخمر ويشارك الناس أفراحهم ويقاسمهم أحزانهم ودموعهم. لأنه كان يُكثر الطعام ويوزّعه بدون رخصة.

- لأنه كان طيب القلب مسامحًا للخاطئين وغافرًا للتائبين.
- لأنه كان يهتم بصغار القوم والمهمشين والمرذولين.
- لأنه شارك الخطأة والزواني المرضى والمساكين طعامهم وهمومهم.
- لأنه زار المرضى وشفاهم، وأقام الموتى.

لأنه أنصفَ المظلومين ودعاهم إلى أن يقولوا كلمة حق بوجه الباطل. صُلب لأنه لم يكن مساومًا ، مجاملاً ، متملقًا، أو بائعًا لضميره بحفنة دولارات، لأجل كرسي أو من أجل مصالح ومحسوبيات شخصية على حساب رسالته وحساب الخير العام، وقول كلمة الحق. فوقف ندًا قويًا بوجه رؤساء الكهنة والفريسين والكتبة وغيرهم. صلب يسوع لأنه كان حرّ الكلمة والمواقف.

صلب المسيح، لأنه كان يتردد على الأحياء الصغيرة الفقيرة المُهمشة، ولم يُعرف له الكثير من الأصدقاء الأغنياء. صُلب لأنه كان يُنادي بالسلام في عالم لا يعرف السلام ويبغض الحبّ والمحبين.

كان وما زال يُريد أن يُغيّر الناس واصلاحهم ليسيروا بطريق الله، ساعيًا إلى تحريرهم من العبودية . صُلب لأنه كان يُريد أن يجعل من الناس أبناء لله.

صُلب لأنه تعدّى بدون صلاحيّة على باعة الهيكل الذين حولوا هيكل الرب إلى**"سوق حرّة"**، وباسم الدين أصبحوا يتاجرون ويستغلون الشعب. صُلِبَ لأنه لم يكن ملكًا متمسكًا بكرسيه، ولم يتعامل مع تلاميذه بعقلية التمييز والتفريق والتفضيل العشائري. لم يكن يرى في تلاميذه خُدامًا له، بل شركاء رسالته. صُلِبَ لأنه لم يكن كسائر الملوك، لم يكن له حراسات وحمايات وأملاك

وأرصدة وحقول ومصايد اسماك ومزارع، لم يكن له مكان يضع عليه رأسه! صُلِبَ المسيح، لأنه آمن بالإنسان، فكان خير محامٍ لحقوق الإنسان ،حتّى أنه "**مات حُبًّا** " من أجله على الصليب، فكان الصليب "ضريبة لحبِّه".

صُلِبَ لأنه سعى خلال حياته القصيرة ليشهد لِحبّ الله بين البشر!

إنَّ أجمل ما يقوله المُحبون والعشاق لبعضهم البعض هو كلمة:"**أموت فيك**". هكذا أيضًا، هو الله بشخص يسوع المسيح في مثل هذا اليوم قبل ألفي عام قال لكلّ إنسان"**أموت فيك ولأجلك**"،"كم أنت عزيز عليّ أيها الإنسان حتّى بذلتُ لأجلك ولدي الوحيد"(هكذا أحبَّ الله العالم حتى بذل أبنه الوحيد)(يو 3 :16).

إنَّ الذين صلبوا يسوع ظنوا أنهم بموته سيمحون اثاره، فأنقلب الصليب من لعنة إلى بركة، واليوم كما بالأمس فإن ملايين القلوب تنبض بحبه.

وأنت ايها القارئ العزيز من الممكن أن تمر حياتك بمحن وصعاب لتجف علاقتك مع الله ومع الآخَرين .. لكن لا تيأس ولنقتدِ جميعنا بمعلمنا يسوع المسيح. فالهنا لم ولن يتركنا أبدًا. أنه اله امين . فليكن اتكالنا على الله أبينا. فمن يتكل عليه لا يخسر أبدًا.

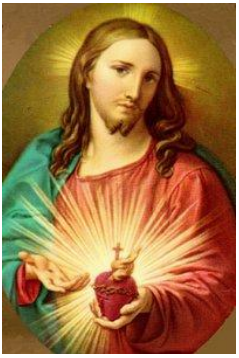

يسوع المسيح، شهيد الحبّ

البابا يوحنّا بولس الثاني

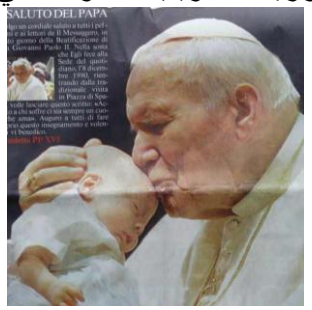

اسمه كارول جوزيف فويتيلا، ولد في بولونيا بتاريخ 1920/5/18. نال سرّ العماذ في 20 حزيران من السنة ذاتها. دُعي في العائلة باسم "لولوس". سنة 1929 فقد والدته وحنانها. بدأ ينظم الشعر إثناء دراسة المتوسطة وبدأ بمطالعة الأدب البولوني، وكان يهوى تعلم اللغات، فأخذ يتعلم الإلمانية واليونانية.

ولما أنهى دراسته في المتوسطة والأعدادية، دخل كُلّية الأداب ولكن سُرعان ما توقفت الدراسة بسبب نشوب الحرب العالمية الثانية.

عمل في منجم لإستخراج الصخور للصناعات الكيميائية. وفي سنة 1941 دخل المعهد الكهنوتي، وكان يدرس اللاهوت خفية لأن بولونيا كما يعلم الجميع كانت ترزح وقتذاك تحت الحكم النازي الذي امر بغلق المعاهد والدراسات الدينية.

وبعد خمس سنوات من الدراسة في الخفاء تخللها الخوف. أقتبل نعمة الكهنوت في الأول من تشرين الثاني من عام 1946.

أُرسل إلى روما للدراسة العليا والتخصص، فنال شهادة الدكتوراه في اللاهوت، وعاد إلى وطنه ليصبح أستاذًا في المعاهد الكهنوتية.

سنة 1958رُسم أسقفًا معاونًا لمطران ابرشية كراكوفيا وهو أبن 38 عامًا!وفي عام 1964 أصبح رئيسًا لأساقفة الإبرشية نفسها، فتحمل عبء المسؤلية إبّان سيطرة الحكم الشيوعي، فكان تارة حازمًا شديدًا، وتارة أخرى يميل إلى الحوار مع الحكومة من أجل نيل حقوق الكنيسة، فأستطاع بنعمة الرب وبحكمته من الحصول على موافقة لبناء كنيسة كبيرة في نوفا هوتا.

سنة 1967ضُم إلى مصاف كرادلة الكنيسة الكاثوليكية بعد أن اختاره البابا بولس السادس.
أنتخبه كرادلة الكنيسة الكاثوليكية حبرًا أعظم في 16 تشرين الأول 1978 مُتخذًا أسم **"يوحنّا بولس الثاني"**. وهو البابا رقم 254 في سلسلة البابوات، والبابا البولوني الأوّل في التاريخ، وأول بابا غير إيطالي مُنذ عهد البابا الهولندي أدريان السادس(1522-1523).
كان صوت الحق والحقيقة وشاهدًا على حبّ المسيح بين البشر، حتّى إنه بدأ خطابه الأول في الفاتيكان في 22 تشرين الأول 1978، إذ صرخ من أعلى الشرفة المُطلة على الساحة:" **لا تخافوا"**، وأضاف:**"أفتحوا الأبواب للمسيح"**.

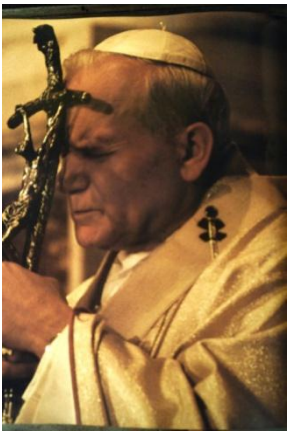

ثم تحرك فاجأة تاركًا الكرادلة والأساقفة والأكليروس وهبط درجات السّلم، مُتوجهًا إلى ساحة القديس بطرس ليلتقي بالناس التي قدمت من كل أرجاء المعمورة وليكون قريبًا منهم، ثم توجّه نحو المُعاقين واحتضنهم وقال لهم: "أحبكم" وأضاف بلهجة الفكاهة: "الآن تستطيعون أن تتفاخروا لأنكم أول من ألتقى البابا الجديد".
وفي تلك الساحة تعرض البابا لمحاولة إغتيال بتاريخ 1981/5/13 على يد إنسان حاقد ومدسوس. أُصيب البابا في معدته وخضع لعملية جراحية كبرى أستغرقت ست ساعات. نجحت العملية وتعدى البابا مرحلة الخطر، فعم الفرح في قلوب الناس، لكنه ظل مُسمرًا على فراش الألم 76 يومًا.

وبعد أن تماثل الشفاء النسبي، وجّه من غرفته بالمستشفى كلمة إلى المومنين في كل العالم وقال حينها:" لا تقلقوا .... ادعوكم للصلاة من أجل الأخ الذي حاول قتلي، فقد غفرتُ له قلبيًا".
مرّت سنتان من الحادثة، وفي أجواء عيد الميلاد المجيد، توجّه البابا إلى السجن وألتقى القاتل وأكد له شخصيًا الصفح والغفران.
لقد كسر البابا الطوق مُحققًا رقمًا قياسيًا بالرحلات وزيارة البلدان لينشر السلام ويحث الشعوب على التعايش السلمي المُشترك.
كانت زياراته عفوية ومن دون حماية، كان قريبًا من الناس، يُصافح الأيادي، يُقبل الصغار، يتفقد المُقعدين ويحتضنهم بحنان أبوي، يُحيي الجموع. ولكن بعد محاولة أغتياله أصبح يتجول بطريقة البروتوكول داخل سيارة خاصة ضد الطلقات النارية، مُحاطًا بعدد من رجال الأمن.
من أجمل عادات البابا السابق عندما كان يهبط من سلّم الطائرة، فأنه يركع على أرض المطار فيُقبّلها علامة على المحبة والاحترام والتقدير، فهو رسول سلام.
ولما كبر في السن وداهمته الأمراض، صار أهل البلد المُضيف يضعون تُراب بلدهم في صندوق، فكان ينحني ويقبله.
زار العديد من البلدان المسيحية وغير المسيحية في جميع القارات، حتّى لُقب "البابا السائح".
تميز هذا البابا بأنه رجل محبة وسلام وإنفتاح ، كما حاول خلال حياته مدّ جسور الإخاء والتعاون والتفاهم ما بين الأديان لبناء عالم جديد وإنسان جديد ينعم بحياة يسودها الأمان والمحبة وإحترام الآخر على تنوعه وتمايزه.
اعتبر البابا يوحنا بولس الثاني واحدًا من أقوى عشرين شخصية في القرن العشرين، وقد لعب دورًا بارزًا في إسقاط النظام الشيوعي في بلده(بولندا) وكذلك في عدد من دول أوروبا الشرقية، ونسج علاقات حوار بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة

الأرثوذكسية الشرقية والكنيسة الآنجليكانية إلى جانب الديانات غير المسيحية.
ندد "بالرأسمالية المُتوحشة" في تعليمه الاجتماعي؛ كان يقول كلمته بجرأة، وأتخذ مواقفًا حازمة وشديدة وواضحة. مُتمسكًا ومُدافعًا عن تعاليم الكنيسة ضد وسائل منع الحمل الاصطناعي والإجهاض والموت الرحيم وسيامة النساء ككهنة والمساكنة قبل الزواج....
واستعدادًا ليوبيل عام 2000 قام برحلة حج للاراضي المُقدسة وكان يود أن يبدأها من اور الكلدانيين في العراق والسير على خُطى ابراهيم، وبعد أن أُعد كل المُستلزمات للزيارة، جاء القرار الامسؤول والمُجحف من قبل الحكومة العراقية وقتذاك بإلغاء الزيارة لاسباب لمجال لذكرها هنا ولا نود الدخول في تفاصيلها[1].
وبمناسبة اليوبيل اعتذر البابا للعالم عن الأخطاء التي وقعت فيها الكنيسة الكاثوليكية خلال التاريخ.
اعلن خلال حبريته قداسة 483 شخصًا وفق العقائد الكاثوليكية 1340 طوباوي وطوباوية آخرين، أي أن ما رفع خلال حبريته يوازي حصيلة أسلافه خلال القرون الخامسة السابقة.
إنتقل إلى دار البقاء في 2 أبريل 2005 بعد رحلة طويلة مع المرض، وفي حبرية طويلة دامت ستًا وعشرين عامًا. كان شاهدًا على محبة وحضور الله في العالم.
حزن العالم لوفاة بابا الشباب، وحضر مراسيم تشيعه كبار رؤساء دول العالم وشخصيات رفيعة دينية وسياسية. طلب أن يوضع

[1] أنظر الأب يوسف جزراوي، صفحات ناصعة، ص 20، سدني 2011.
[2] أصبح بينهما وحدة فكر وقلب وحياة، بسبب المُشتركات الكثيرة التي كانت بينهما.
[3] سبق وأن نتشرتُ هذه السيرة في اليوم الثالث لوفاة الأب حدّاد وأخذ عنها الكتاب، وهذه السيرة نُشرت في العديد من الصحف والمواقع الألكترونية ومن أبرز من أستشهدوا بها

على قبره الكتاب المُقدس فقط، لأنه كان ركيزة حياته وركيزة خلاصه.

وفي مراسيم الجنازة تعالت اصوات الحشود والجموع التي تدفقت إلى ساحة القديس بطرس في الفاتيكان من كل انحاء الأرض، مُنادين باعلانه قديسًا. كانوا يصرخون"إنه قديسٌ- أعلنوه قديسًا".

وفي 19 ديسمبر 2005 طلب البابا بندكت السادس عشر فتح ملف تطويب يوحنا بولس الثاني، واحتفل بإعلانه طوبايًا للكنيسة الكاثوليكية الجامعة في 1 مايو 2011 خلال مراسم تقدمها وقرأ عبارات التطويب البابا بندكتس السادس عشر في ساحة القديس بطرس في الفاتيكان أمام أكثر من مليون شخص.

يُشار إلى أن التطويب يعني أنه قد حصلت مُعجزة على يدي المطوّب، حيث نسب للبابا الراحل شفاعته عند الله لشفاء راهبة فرنسية عانت من مرض الشلل الرعاش. ولا يعلن قديسًا إلاّ بعد دعوى جديدة، ويتطلب ذلك حصول معجزة أخرى بشفاعته.

كان البابا يحب العراق، ويُردد دومًا العراق في قلبي وصلاتي وكان ضد قرار الحرب على العراق، وارسل كرادلة لزيارى العراق وتفقّده وحضور مؤتمر الكنيسة من أجل السلام في بغداد.

البابا المحبوب يوحنّا بولس الثاني، رجل المحبة والتحدي والشهادة، إنه طائر حلق خارج السرب.

لقد أحب الجميع، فأحبه الجميع أيضًا.

لنطلب شفاعته.

فيدور دستوفسكي (1822- 1881)

فيدور دستوفسكي هذا الروائي الروسي العظيم فما من مرة قرأت له رواية من رواياته الجميلة الشهيرة، إلا واسترجعت شريط حياته المُضطربة بسبب المرض والنفي والإعتقال وعذاب الحُبّ، والديون والحرمان والإضطهاد.

عاش دستوفسكي مريضًا بالصرع طوال حياته، تنتابه نوبات الصرع، فيسقط على الأرض وتخرج الرغوة من فمه، وألقي القبض عليه بتهمة الإشتراك في جمعية سياسية غير شرعية، وصدر عليه الحكم بالإعدام.... كان يترقب الموت في كل لحظة، ثم خُفف الحكم عليه إلى النفي في فيافي سيبيريا الجرداء، فعاش فيها 4 سنوات طوالاً سجينًا يُعاني من المرض والوحدة والحرمان. كما عمل عدة سنوات جنديًا محرومًا من مُغادرة المنفى والعودة إلى موسكو.لا

لقد كتب لنا دستوفسكي عن سنواته الموحشة المؤلمة في سيبيريا رواية رائعة " **ذكريات في منزل الموتى**"، فأحدثت أثرًا عميقًا في النفوس وهزت ضمائر اصحاب العروش بما صورته عن الجحيم الذي يعيش فيه المنفيون في سيبيريا، والعقوبات الجسدية التي يتعرضون لها.

قرأ قيصر روسيا وقتذاك الإسكندر الثاني الرواية، وتأثر بها جدًا، فسالت دموعه على أوراق الرواية، وبفضل رواية دستوفسكي تم إلغاء العقاب الجسدي في روسيا. وبسبب هذه الراوية أيضًا كَتب أحد الأمراء الروس رسالة إلى القيصر، يرجوه فيها إلغاء العقاب الوحشي الذي صوره دستوفسكي في روايته. وشكل القيصر بدوره لجنة لدراسة الموضوع وتقصي الحقائق، وإنتهت إلى إلغاء العقاب الجسدي. وهكذا نجحت رواية عظيمة نبعت من واقع حياة مؤلفها في تخفيف آلام المنفيين والمُعاقبين، لكنها لم تنجح في

تخفيف شيء من مُعاناة دستوفسكي نفسه مع المرض والحرمان ونظرة الناس له.
وتمر الأيام ليقع الروائي الكبير دستوفسكي في حُبّ زوجة رئيسه الضابط السكير حدّ العبادة، لكنها لم تكن تحبه. بل كانت تعطف عليه. وتمضي الأيام ليتم نقل الضابط إلى مدينة أُخرى بعيدة، فراح دستوفسكي يبكي كالأطفال كل يوم، وكاد يصيبه الجنون!
لم يستسلم ديستوفسكي للبعد، بل شرع يكتب إليها بإنتظام، وهي تكتب إليه أخبارها، وتشكو من إدمان زوجها للشراب وخوفها من المُستقبل؛ فتسوء صحته مع كل رسالة، وتعاوده نوبات الصرع كثيرًا، ثم توفى زوجها، وراح يتوسل إليها في مراسالته أن تتزوجه، فكانت تارة ترفض، وتارة أخرى تراوغه، وتحدثه عمن يتقدمون لخطبتها، وهو كان يتعذب ويحترق، إلى أن وأفقت على الزواج منه، وسافر إليها وتزوجها، وعاد بها بالثوب الأبيض إلى مدينته، وهو يتعجل اللحظات الباقية على وصولهما إلى بيت الزوجية الجديد، فما أن بلغاه، وأغلق الباب عليه وعلى عروسته، وما أن بدأ بمعانقة زوجته التي حلم بها كثيرًا حتّى باغتته نوبة الصرع وسقط على الأرض يرتعش وتخرج الرغوة من فمه! ولم يهنأ طويلاً بالحُبّ، فقد مرضت زوجته مرضًا طويلاً، ولازمت الفراش، فقضى الليالي العديدة إلى جوار فراشها يكتب، وظلال الموت تحيط بالمكان. ماتت زوجته وتزوج غيرها، ولم يختلف حاله كثيرًا معها، وظل دائمًا في حاجة إلى المال ويعاني من مرضه المزمن (الصرع) ويكتب بالساعات الطويلة كل يوم ليسدد الديون، ويواجه مطالب حياته القاسية المؤلمة الكئيبة.
أحبائي القراء تأملوا معي كيف صاغ لنا دستوفسكي اجمل الروايات التي تحمل أنبل القضايا الإنسانية. نعم تأملوا وتساءلوا كيف صاغ لنا هذا المحروم من السعادة في مُعظم فترات حياته، هذا الأدب الخالد الذي يعج بالمعاني الإنسانية؟ لقد أجاد في

روايته في تصوير النفس البشرية وخلجاتها وتقلباتها وصراعها. لقد صارعته الحياة وطحنته الأزمات، لكنّه رغم كل شي صاغ بقلمه أجمل الروايات وأروعها. كان قوي الإرادة، فنسج من الظروف التـي اقتحمت حياته أعمق القصص والروايات العالمية والتـي خلدت ذكراه إلى يومنا هذا. وبعد أكثر من مئة عام ونيّف على وفاته. وعلى الرغم من مرضه وألمه وسجنه ونفيه ظلّ ثابتًا على المبادئ والقيم لينتصر في صراعه مع الحياة. إذ استخدم قلمه سلاحًا في كفاحه اليومي، فذهب قلمه ليجسد ما في داخله من المعاني الصادقة والمعاناة، لتعكس لنا صورة عن واقعه الأليم، ولهذا عندما تقرأ رواياته تجدها تخترق قلبك دون إستئذان.

هكذا عاش دستوفسكي محرومًا مُهمشًا يتحسر في أن يجد من يحبه ويحترمه ويقدر إبداعه، واليوم صار رمزًا خالدًا وشهيراً من رموز روسيا، فحين تذكَر روسيا سرعان ما يتبادر إلى الأذهان فيدور دستوفسكي.

هيلين كلير Helen Keller

"إنّ العمى ليس بشيء وإن الصمم ليس بشيء، فكلنا في حقيقة الأمر عمي وصم عن الجلائل الخالدة في هذا الكون العظيم".

من منا لم يسمع يومًا عن الأمريكية هيلين كلير أمّ المكفوفين التي لم تستسلم لعجزها، بل وقفت في وجهه ندًا قويًا وصنعت من ذاتها معجزة حياة. ومن أهم الكُتب في تاريخ الأدب العالمي هو كتابها المُسمى "أضواء في ظلامي" الذي لخصته بجملة رائعة وشهيرة:"**عندما يُغلق باب السعادة يُفتح آخر، ولكن في كثير من الأحيان ننظر طويلاً إلى الأبواب المغلقة، بحيث لا نرى الأبواب التي فُتحت لنا".**

"كن منشرح الصدر دائمًا ولا تفكر في إخفاقات اليوم ولكن أهتم بالنجاحات التي ربما تأتي في الغد القريب". هذا ما قالته هيلين

كلير في أحد كتبها. صاحبة هذه الكلمات العظيمة هي هيلين كيلر هذه الفتاة التي فقدت عدد من حواسها الأساسية وعلى الرغم من ذلك تمكنت من النبوغ وحفرت لنفسها مكانًا مُميزًا في المجتمع تفوقت به على كثير ممن يملكون حواسهم كاملة ولا يستطيعون أن يحققوا أي شيء في حياتهم.

هيلين كلير امرأة استطاعت رغم عجزها الكبير أن تكون ذات شأن كبير، وأن تخط اسمها بحروف من ذهب على صفحات التاريخ الحديث .

كبرت هيلين وهي في ظلمات ثلاث لا ترى ولا تسمع ولا تتكلم، فانقطع كل أملها في التواصل مع العالم الخارجي ، فكان التوتر والغضب والانفعال وسائل تفاهمها مع الناس .

رغم هذا استطاعت هيلين أن تحقق في حياتها أكثر مما يستطيع أن يحققه أناس طبيعيون، فاستطاعت أن تقرأ من الكتب أضعاف ما يقرؤه أصحاب البصائر السليمة،وسمعت الكثير من المعزوفات والمقطوعات الموسيقية والألحان، وألقت من المحاضرات في أميركا وأوروبا وإفريقيا. إنها من قهرت إعاقتها، بفضل ثقتها بنفسها وإتكالها على الرب وبفضل معلمتها "آن سولفيان" التي كانت شعاع النور الذي أنار لهيلين طريق نجاحها في الحياة....

يا ليتنا نتعلم جميعنا من هذه المُعجزة، كيفية العبور من اليأس إلى الرجاء، ومن العجز إلى الإبداع.

الأديب فرانز كافكا

من الأشخاص الذين أكلت عقولهم أجسادهم الأديب التشيكي غريب الأطوار فرانز كافكا (1883- 1924). لقد عانى في حياته من داءين قاتلين للسعادة وهما: عذاب الإبداع وعذاب التجاهل والتهميش والإنكار.

بدأ كافكا موظفًا قانونيًا في الحكومة النمساوية وهو في سنّ الشباب، وفي هذه المرحلة يكتب رواياته وقصصه الغريبة، التي تصور الإنسان وهو في حالة القلق ومُنغمسًا في الإحساس بالخطيئة، وتطارده قوى غامضة.

كان كافكا حاله حال الكثير من الأدباء والكتاب والقُصّاص الذين لم يستطيعوا العيش من التأليف، ولم ينشر في حياته إلاّ القليل من أعماله. وبعد جهد جهيد وافق أحد الناشرين على أن ينشر له كتابه(التأملات). وبعد صدوره، سارع كافكا بشراء 10 نسخ، ثم أتصل بعد فترة من الزمن بالناشر ليسأله عن حجم مبيعات كتابه، فأجابه بأن الكتاب قد باع 11 نسخة فقط!! ولم يهتم كافكا بقلة مبيعات كتابه، بقدر ما أهتم بأن يحاول معرفة شخص قارئه الوحيد. ولم تنجح محاولاته في العثور عليه.

واصل كافكا الكتابة ببطء السلحفاة، وتدقيق أشد مما سبق، فزادت حالة الإكتئاب، ومات بالسل وعمره 41 سنة في مصحة بالقرب من فيينا.

وبعد موته قام صديقة ويدعى (برود) بنشر إنتاجه وتعريف العالم بأدبه، فإذا بكتبه تنتشر بسرعة البرق في كل إنحاء العالم، وترجمت إلى الكثير من اللغات، علمًا بأن مؤلفها لم يسعد بها، ولم يذاع صيته في حياته ولم يتمتع بشيء من التقدير ولا براحة البال في حياته!!

شارلي شابلن

يوم بلا ضحك هو يوم ضائع.(شابلن)

شارلي شابلن مُمثل كوميدي إنكليزي ومخرج أفلام صامتة. كان أشهر نجوم الأفلام في العالم قبل نهاية الحرب العالمية الأولى. ولد في 16 أبريل 1889 وأنتقل لدار البقاء في 25 ديسمبر 1977. كان يستعمل تشابلن الإيماء، التهريج والكوميديا المرئية، وقد استمر بالنجاح حتّى في عصر السينما الناطقة، بالرغم من تراجع عدد أفلامه سنويا بداية من نهاية عشرينات القرن العشرين. من أشهر أدواره هو الصعلوك.

من يقرأ مُذكرات الفنان الكبير الساخر شارلي شابلن سيعرف أنه وهو في قمة مجده وتألقه، أستغرق عامًا في كتابة وتمثيل وإخراج فيلم كوميدي جديد... وبعد أن أنتهى من عمل المونتاج له، وشاهده بمفرده في صالة العرض؛ إنتابته نوبة إكتئاب قاتلة، واحس بانه قد انتهى كفنان، ولم يعد لديه ما يقدمه.. فالفيلم سخيف بكل معنى الكلمة، وليس فيه لمسة بهجة وفكاهة، وقرر إلقاءه في صندوق القمامة، مُضحيًا بكل ما تكلفه لإنتاجه، وعاش أيامًا كئيبة لا يستمتع فيها بشيء.

ثم اشفق عليه صديقه النجم دوكلاس فيربانكس من معاناته؛ فطلب منه مُشاهدة الفيلم، واعدًا إياه بألا يخفي عنه الحقيقة، إذا كان فعلاً لا يستحق المُشاهدة ولا يليق باسمه. وجاء مع صديق له، وجلس بجوار شابلن في قاعة العرض الخاصة، وبدا عرض الفيلم، فلم تمضي دقائق حتّى إستغرق دوكلاس وصديقه في ضحك متواصل بلا إنقطاع.... وإنتهى العرض، وأضيئت الصالة،فرآه شابلن يجفف دموع الضحك، فنظر إليه حائرًا وسأله: أتظنه حقًا مضحكًا إلى هذا الحد؟! فلم يجبه بشيء، وإنّما قال لصديقه: ما رأيك في هذا الرجل الذي كان يُريد إلقاء هذا الفيلم في القمامة؟! ثم إنصرف

مُصطحبًا صديقه بلا كلمة أخرى، وعُرض الفيلم، فإذا به يُحقق نجاحًا ساحقًا وإيرادات وشهرة لم يحققها فيلم لشابلن من قبل!

المُبدع هوإنسان اللحظة
يعيش اللحظة بمعناها الحقيقي، مهما كانت تلك اللحظة مفرحة أم محزنة.
المُبدع عطشان الى الفرح والتقدير، إلى الحُبّ والسلام،
ونظل كلنا جياع إلى الفرح
ومع الله الذي هو أساس إبداعنا سنعرف أن نحيا الفرح والحبّ والسلام.

من كتاب الحج إلى الأعماق(أفكار وتأمّلات من تُراب) للأب يوسف جزراوي.... قريبًا.

غوته (1749-1832)

"إنّ حياتي كانت كُلها دفعًا لحجر ينبغي عليَّ أن أدفعه إلى أعلى التل، وكلما بلغت القمة سقط الحجر إلى السفح وعدت لمحاولة دفعه لأعلى من جديد"(جوته).

غوته الشاعر الإلماني الشهير الذي يعرفه القاصي والداني، وتنقلني ذاكرتي أيام تنشئتي الكهنوتية في المعهد الكهنوتي البطريركي ببغداد (سمنير الكلدان) إذ قرأت له روايته الرومانسية الحزينة (آلام فرتر)؛ كانت دموعي تهطل، وحزن يراودني كلما تعمقت في قراءة الرواية، فقد تأثرت بها جدًا. أتعلمون يا قرائي الأعزاء إن (آلام فرتر) لم تكن سوى آلام جوته شخصيًا، ولم تكن قصّة عذاب فرتر مع من أحبّها بعمق ومصداقية وأختارت غيره، سوى قصّته هو نفسه.

بعد هذه الصدمة ظل غوته يُفكر بالإنتحار، وكان يضع تحت وسادته خنجرًا، يحاول أن يستجمع إرادته ليغرسه في قلبه وينهي حياته ومعاناته، لكنه كان في كل مرّة يفشل، وحين تأكد من عجزه عن الإنتحار، قرر أن يكتب قصّة الحُبّ الفاشل في (رواية فرتر)، وأن يقتل بطلها الشاب الحزين!

ومع الأيام تتكرر قصّة الحبّ الفاشل في حياته عدة مرات،إذ كان سريع الوقوع في الحُبّ، سريع النسيان بعد أن يسحقه العذاب والمُعاناة والبكاء كالاطفال، وسريعًا في الشروع بعلاقات جديدة!

لقد عاش غوته 82 عامًا ونال من المجد الأدبي والشهرة مالم ينله أديب ألماني قبله، ومع ذلك لم يكن سعيدًا. حتّى أنه قال لصديقه (إكرمان) الذي كتب سيرته: "لقد عُددت دائمًا من المحظوظين.... ويبدو للكثيرين أني لم اشكو من حياتي.. ولكنني لم ألق في حياتي سوى الحزن والهموم والعناء. وأستطيع القول انني خلال عمري كله لم أستمتع بالراحة شهرًا واحدًا".

ترك غوته للساحة الأدبية معجزته الأدبية (رواية فاوست) والتي كتبها في ثلاثين سنة، وكتب الجزء الثاني منها في 25 سنة.

كان قليل الأصدقاء ومن أصدقائه المقربين إكرمان والشاعر شيللر الذي مات بالسل، إذ تأثر غوته لوفاته؛ بحيث أغلق باب غرفته وإنزوى فيها وبكى بحزن وألم كالأطفال وبموته قال:" لقد فقدت نصف موهبتي .... ومُفكرتي الأدبية خاوية الآن كحياتي".

ألبير كامو (1913 - 1960)

فيلسوف وجودي و كاتب مسرحي وروائي فرنسي مشهور ولد في الجزائر من أب فرنسي كان يعمل مُزارعًا مات في الحرب العالمية الأولى، فتولت أمه تربيته وكانت من أصل أسباني.
حصل كامو على شهادة الباكلوريا ثم تطلع لدراسة عليا في فرع الفلسفة غير أن أصابته بمرض السل حالت بينه وبين أداء الأمتحان.
عمل صحفيًا في الجزائر ثم بباريس. وفي عام 1940 حاول الالتحاق بالجيش، ولكن صحته حالت دون ذلك. انخرط في المقاومة الفرنسية أثناء الاحتلال الألماني، و أصدر مع رفاقه في خلية الكفاح نشرة باسمها ما لبثت بعد تحرير باريس أن تحولت إلى صحيفة combat الكفاح اليومية التي تتحدث باسم المقاومة الشعبية واشترك في تحريرها جان بول سارتر. كان كامو يُناضل لنصرة الحق والضعفاء والمحرومين والمُطالبين بحريتهم.
ورغم أنه كان روائيًا و كاتبًا مسرحيًا في المقام الأول، إلا أنه كان فيلسوفًا. وكانت مسرحياته وروايته إنعكاسًا لفلسفته في الوجود والحبّ والموت والمقاومة والحرية. كانت فلسفته تعايش عصرها، وأهلته لجائزة نوبل فكان ثاني أصغر من نالها من الأدباء.
من أهم كتبه: "أسطورة سيزيف" 1942 و"المُتمرد1951" الذي تطرق خلالهما إلى فكرتين رئيسيتين هما العبثية و التمرد.

اتخذ كامو من "أسطورة سيزيف" رمزًا لحياة الإنسان في الوجود، "وسيزيف" هو الفتى الإغريقي الأسطوري الذي قدر عليه أن يصعد بصخرة إلى قمة جبل، ولكنها ما تلبث أن تسقط مُتدحرجة إلى السفح، فيضطر إلى إصعادها من جديد، و هكذا يقضي حياته للأبد!

وكامو يرى فيه الإنسان الذي قدر عليه الشقاء بلا جدوى وقدرت عليه الحياة بلا طائل، فيلجأ إلى الفرار أما إلى: موقف شوبنهاور الذي ينص:"طالما أن الحياة بلا معنى فلنقض عليها بالموت الإرادي بواسطة الانتحار". وإما إلى موقف الآخرين الشاخصين بأبصارهم إلى حياة أعلى من الحياة، ويقصد به الحركة التي ينكر بها الفكر نفسه ويحاول أن يتجاوز نفسه في نطاق ما يؤدي إلى نفيه. أو إلى موقف التمرد على اللامعقول في الحياة مع بقائنا فيها غائصين في الأعماق، فإذا مُتنا، نموت مُتمردين لا مُستسلمين.

إنَّ هذا التمرد هو الذي يضفي على الحياة قيمتها، ويعطي للإنسان قيمة كبرى، وليس أجمل من منظر الإنسان المعتز بقضيته، الإنسان المُرهف الوعي بحياته وحريته وثورته، الذي يعيش زمانه في هذا الزمان : الزمان يُحيي الزمان.

كان البير كامو يُعبر عن نفسه من خلال كتاباته.

كان يسأل: هل الحياة تستحق منا أن نحياها؟ سؤال راوده طيلة حياته.

كان يرى أن الحياة بالنسبة للغالبية العظمى من البشر تنحصر في القيام بما تمليه العادة. فتمرد هو على ما تمليه عليه العادة.
نشأت بينه وبين الفيلسوف الوجودي (جان بول سارتر) صداقة عميقة نتيجة تشابه الأفكار بينهما وإعجاب كل منهما بالآخر الذي كان قبل اللقاء بسنوات وذلك من خلال قراءة كل منهما كتابات الآخر.
ومع نهاية الحرب العالمية الأولى، ظل كامو رئيسًا لتحرير جريدة الكفاح، إلى أن تجردت كليًا من الهدف النضالي وأصبحت بالمقابل جريدة تجارية، فتركها عام 1947، وصار مُقربًا أكثر من دائرة سارتر. وسرعان ما تنافرا، فحينما ندد كامو بالإرهاب الذي مارسه الدكتاتوريون الفاشيون الهتلريون الذي كانوا يلجئون إلى القتل الجماعي تمهيدًا لخلق مجتمع جديد، يكون الناس فيه أحسن حالاً،هذا السبب الذي جعل كامو ينفصل عن الحزب الشيوعي، وكذلك عن سارتر والوجوديين، ليكوّن له فلسفة أخرى شخصية.
إن أهم انجازات كامو الفلسفية هي فكرة العبث أو اللامعقول:الفكرة الناتجة عن حاجتنا إلى الوضوح والمعني في عالم ملئ بظروف لا تقدم لا الوضوح ولا المعنى. وهي الفكرة التي أبدع في تقديمها في أسطورة سيزيف، وفي الكثير من أعماله الأدبية.
في عقد الخمسينات من القرن العشرين تفرغ كامو للعمل الإنساني. في عام 1952 استقال من منصبه في منظمة اليونسكو احتجاجًا على قبول الأمم المتحدة لقبول عضوية أسبانيا وهي تحت حكم الجنرال فرانكو. كما أن انتماؤه لليسار لم يمنعه من انتقاد السوفييت للطريقة التي قمعت فيها انتفاضة العمال في برلين الشرقية عام 1953. كذلك انتقد نفس الأمر في المجر في عام1956.

مُنح جائزة نوبل للادب سنة 1957 على مُجمل ابداعاته وابرزها: الطاعون،الغريب،اسطورة سيزيف، الانسان المُتمرد.
إنطفأت شمعة حياته عندما قضى نحبه في حادث سيارة عام 1960. من أشهر مقولاته:
-على الانسان أن يجمع بين العقل والجنون، بين الفوضى والرتابة، بين التوتر والاستقرار ويكون سلاحه في ذلك، التمرد.
كل هذا في سبيل حق الانسان في حياة حرة كريمة، وعلى هذا الانسان أن يتمرد في وجه الظلم والقسوة ويناضل من أجل التخلص من كل أشكال العبودية في سبيل الحياة التي هي افضل ما وهب للانسان على الارض.
-حتّى نحترم الحياة ونليق بها، علينا أن نسعى من أجل الحرية، حريتنا وحرية الاخرين على دروب التكاتف الإنساني.
هكذا عاش ومات كامو مُتمردًا يعشق الحرية والإبداع، فكان مثالاً حيًا للفكر حين ينطق، وللمبدع السائح في دروب الإبداع، إنه رياضة عقلية لكل قارئ.

صموئيل جونسون(1709-1784)

مَن منّا يجهل الناقد الإنكليزي الشهير صموئيل جونسون الذي أضطرته ظروفه للزواج وهو في سنّ السادسة والعشرين من عمره من سيّدة تكبره بعشرين عامًا، لأن زواجه منها كان بمثابة إنقاذ ليُصلح حاله. كانت حياته معها بشكل عام هادئة، رغم إفتقاده للحُبّ. وقد أُصيب بنوبة إكتئاب لازمته طويلاً، وساءت صحته حين ماتت زوجته.
عاش مُعظم سنوات حياته يُكافح الحاجة والفقر، وإفتقاد التقييم والتقدير. وكتبَ روايته الوحيدة (الوادي السعيد) لمجرد أنه علم باشتداد المرض على أمه التي كانت تقيم في مدينة أخرى، ولم يكن معه ما يواجه به نفقات جنازتها القريبة؛ فرجا ناشره أن يُعطيه ما يلزمه لتغطية جنازة والدته ومقابل ذلك يكتب له رواية

خلال أسبوع واحد، واستجاب الناشر لطلبه؛ فعكف جونسون على كتابة روايته الوحيدة كل مساء ولمدة أسبوع، وكان شغله الشاغل توفير نفقات جنازة أمه ولم يتمنَ شيئًا سوى أن يُطيل الله عمرها بضعة أيام، حتّى ينتهي من الرواية.

قضى جونسون بعد ذاك من عمره ثماني سنوات في إعداد قاموس للغة الإنجليزية، وتخلى عنه ناشر القاموس الذي وعده بالمساعدة المادية. وبعد ثماني سنوات من العمل الدوؤب صدر القاموس؛ فاعتبره النقاد درة القرن الثامن عشر، وكتب الناشر الذي تخلى عن طباعة القاموس مقالتين يمتدح فيها جونسون وعمله، وما أن قرا جونسون المقالتين حتّى تجدد الشجن والحزن في اعماقه.

لم يُسعد جونسون بإهتمام النُقاد وكل المقالات النقدية التي امتدحته، ليس لأنها تأخرت، بل لأنه كان قد فقد القدرة على الإبتهاج لأي شيء، هكذا خيمت الكآبة والحزن والإنقباض على حياته، حتّى أن صديقه وكاتب سيرته الذاتية الكاتب الإيرلندي **جيمس بوزويل** وصفه: كان الحزن والإنقباض من طبيعته، كان سريع التأثر بإهانات لا وجود لها إلا في خياله، وتنتابه نوبات من الوجوم والحزن، وكان دائم الشكوى من أمراض لا وجود لها إلا في ذهنه!

المُبدع يحيا في دوامة الإبداع طيلة حياته.

تعودنا على شنق العصافير المُغردة ومصادرة زغرداتها الجميلة. وتعودنا على دهس الأزهار،لنشم رائحة العفونة من على سطح الأزهار الصناعية.

كنتُ وما زلت في حالة بحث دائم، رغبة مني في الإكتشاف والنمو والتطور وبنيان الذات وتحقيقها،ومن هُنا بدأت أتصالح مع نفسي وأصقل ملامح شخصيتي، مُكتشفًا هويتي الذاتية، مُكونًا لي نمط حياة، فيه رؤية ومواقف خاصة، أُحافظ فيه على خصوصيتي الذاتية واستقلاليتي وفرادانيتي التي تميزني عن الآخرين ككاهن وإنسان،لكي لا أكون نسخة عنهم أو مثلهم.

فتحت عيني وبيني وبين البعض صراع! أتعلمون لماذا؟ لأنني لا أشبههم ولأنني لا أبغي أن أعيش في فراغ حياة مثلهم. لقد رفضت أن أكون رقمًا في هذه الحياة.بل أن يكون لي ثمار ونتاج واثار،وليس جميع البشر مُثمرين. إن مُجتماعاتنا تنظر إلى الجماعة كقطيع فترفض خصوصية الفرد وتمايزه، فتسمعهم يقولون لك(ألجميع يعمل هكذا،أأنت عكس الآخرين؟). وأنا كنتُ أشبه بمعزة هربت من القطيع وتعلمت أن أقود نفسي دون أن يقودني الآخرون. فدعيت بالأب المُختلف لأنني أسلط الأضواء على نقاط يتهرب الناس منها رغم قناعتهم بصحتها ويودون عيشها لولا خوفهم من ردات فعل البعض وإنتقادهم. للأسف باتت أخلاقيتنا وسلوكنا مبنيةً على كلمة " عيب. ماذا ستقول الناس عنا؟ أخشى أن ينتقدني الأخرين، الناس سوف تأكل رؤوسنا". هكذا أصبحنا نخشى كلام الناس لأن كلامهم لا يرحم، وصار سلوك حياتنا قائم على ارضاء الآخرين وتجنبًا لإنتقاداتهم. ولكن شعار حياتي هو أن أعمل ما أنا مقتنع به، وليقل الآخرون ما يشاؤن!

هكذا حلقتُ خارج السرب، لأنني لا أهوى حياة روتينية عقيمة، تقليدية جوفاء. رافضًا العيش بفراغ، وبنمط حياة يُريده لي الآخرون.

هنيئًا بل طوبى للمُحلقين خارج السرب، لأنهم سيكتشفون ويختبرون، ويمتلئون، ووحده المُمتلئ من يُعطي.

من كتاب الحج إلى الأعماق(أفكار وتأمّلات من تُراب)....قريبًا.

يوكيو ميشيما

من الأدباء الذين إنهوا حياتهم بشكل حزين الروائي الياباني يوكيو ميشيما، فقد كتب أول أعماله وهو في السادسة عشرة من عمره، وكتب خلال حياته مئة عمل أدبي لاقى مُعظمها نجاحًا كبيرًا.

في عام 1965 بدأ يكتب أكبر وأهم أعماله، وهو رواية من أربعة أجزاء، أسمها (بحر الخصب)، فوضع فيها عصارة فكره، وتجاربه كإنسان وأديب، وكان يبوح لأصدقائه وهو يكتب روايته هذه إنه حين ينتهي من كتابتها لن يكون لديه ما يقوله بعدها للناس.... وفي هذه الحالة لن يبقى أمامه سوى الإنتحار!

ولم يأخذ أصدقاؤه حديثه على محمل الجد، وأستغرق ميشيما خمس سنوات في كتابة عمله الكبير، وما إن إنتهى منه، حتّى أعلن أنه سينتحر إنتحارًا علنيًا، أحتجاجًا على تغلغل القيم الغربية الحديثة في المجتمع الياباني وقتذاك. وذات يوم لف بكل هدوء حزامًا قُطنيًا حول وسطه، ثم أمسك بسيفه التقليدي، وأغمده في بطنه بثبات؛وسقط على الأرض ينزف دماً ومن حوله المصورون ومراسلو وكالات الأنباء الذين كانوا يسجلون لحظة الإنتحار دون أي تدخل أو محاولة لمنع هذا الأديب العظيم من إنهاء حياته، وعمره يزيد عن 45 عامًا!

وبعد أن مات، قال بعض النقاد: إنه كان صادقًا في حزنه على إنصراف بعض اليابانيين عن تقاليدهم القديمة، وتأثرهم بالسلوكيات الغريبة. وقال آخرون: إنه في الحقيقة كان يستجيب لهاجس ظل يراوده مُعظم سنوات حياته، هاجس دفعه إلى الإنتحار.

جبران خليل جبران(1883-1931)

الشاعر والأديب اللبناني جبران خليل جبران الذي هاجر إلى امريكا مع أمه واخوه بطرس واختيه مريانة وسلطانة، بعد وفاة والده خليل، فعاشوا في الحي الصيني من مدينة بوسطن، وهناك تعلم أصول اللغة الإنكليزية، وبعد ثلاث سنوات بعثته عائلته إلى بيروت لدراسة العربية والفرنسية .

سنة 1908 سافر إلى باريس لتعلم أصول الرسم هُناك، اقام في باريس سنتين تعلم فيها الرسم الحر. وفي الكبر استقر في نيويورك في شقة صغيرة. كان أصدقاؤه يسمونها الصومعة، وكانت الصومعة تنطق بفقر صاحبها، وقساوة حياته وكآبتها.

كان يرتزق برسم الأشخاص، وبيع بعض لوحاته باسعار زهيدة، ويكتب أشعاره الراقية والجميلة التي تعج بالصور الإنسانية كل يوم.... ولكنه يشكو من عدم تقدير الناس لنتاجه، فتطارده نوبات من الإكتئاب، فيخرج إلى أصدقائه، أو يستقبلهم في صومعته، حتّى وصفه الشاعر المهجري ميخائيل نُعيمة بأنه كان يُصافح الناس بإحدى يديه، ويصفعهم باليد الأخرى، أي أنه كان يحبهم أحيانًا ويضيق بهم في أحيان أخرى.

وبين حياة العزلة والاكتئاب والإنفراج، ومع الفقر والمُعاناة النفسية، عاش حياته، حتّى مرض بالقلب من كُثرة الجهد والإفراط في التدخين والقهوة، وبعد أن مات، ذاع صيته وصيت أشعاره وكتاباته، وترجمت أعماله إلى لغات عديدة. وحين قدومي إلى سيدني، زرت بصحبة أحد الأصدقاء متحف جبران خليل جبران، وهذا أقل ما يستحق اسطورة الأدب العربي والعالمي جبران خليل جبران.

سيمون دوبوفوار

الكاتبة والفيلسوفة الفرنسية **سيمون دوبوفوار** صديقة الفيلسوف الوجودي جان- بول سارتر وشريكته في الحياة والكتابة والفكر. إذ أرتبط اسم الإثنين معًا لسنوات طويلة، فلا يُذكر الأسم الأول بمعزل عن الأسم الثاني. يكتبان معًا ويعيشان معًا ويجلسان الى طاولة واحدة لا تزال تحمل أسميهما في مقهى"لي دوماغو" في باريس، ومعًا أيضًا كانا يُشكلان جزءًا من السجالات الساخنة التي عرفتها العاصمة الفرنسية في النصف الأول من القرن العشرين في المجالات الفلسفية والإجتماعية والسياسية.

إنها الفيلسوفة الثائرة سيمون دوبوفوار التي كانت من أبرز المُدافعات عن حقوق المرأة في القرن العشرين.

تعرفت **سيمون دوبوفوار** إلى **جان بول سارتر** في عام 1926 في جامعة السوربون، حيث بدأ التواصل الفكري بينهما، فكانا يقضيان الوقت في محاورات ومُناقشات فلسفية عميقة ومُطولة، وسرعانَ ما تحولت صداقة العقل إلى صداقة القلب، فدخلا في **شراكة فكر وحبّ وحياة**، لم تنتهِ إلا بالموت.ارتبطت سيمون مع سارتر بعلاقة حبّ عميق؛ علاقة أتسمت بطابع السرية. لم تنكشف إلا بعد وفاتهما، كما أرتبطت سيمون بعلاقات أخرى، لكنّها لم تمتد لفترات طويلة، بسبب أرتباطها الوجداني والروحي بسارتر، كذلك كان حال علاقات سارتر، فكانا في نهاية المطاف يعودان إلى بعضهما ليلتقيا وليكملا معًا مسيرة الحبّ!

كانت **سيمون دوبوفوار** تتألم حين يُعاشر سارتر امرأة غيرها من مُنطلق النزوة، وكان سارتر يتألم أيضًا حين تُعاشر سيمون رجُلاً غيره. كانت سيمون تتألم أيضًا حين أجبرتها الظروف للدخول في علاقة عاطفية مع الروائي الأمريكي **نيلسون ألجرين**، لكنّها في عمقها كانت لا تزال مُرتبطة بسارتر وتحن إليه وهو كذلك، بالرغم من أن **نيلسون** كان قد أغمرها بحبهِ وعطفهِ

وعطائهِ ومصداقيتهِ، إلا أنه فشل في الإستيلاء على قلبها الذي كان يحتله سارتر! وكانت سيمون دوبوفوار تُعاني الحنين إلى الأمومة وإنجاب طفل، لكنّها حلمت وتمنت وفضلت أن يكون هذا الطفل من سارتر فقط، كثمرة وذكرى لحبّهما العنيف، رغم تعدد علاقاتها. إذ عاشت وماتت وهي أسيرة لماضيها الجميل مع الفيلسوف سارتر.

كانت الفيلسوفة والروائية الفرنسية **سيمون دوبوفوار** تُعاني في حياتها من التمزق بين حرية الحبّ المفتوح دون قيود والقيم السائدة في المجتمع، لهذا كانت تتألم وتكتم ألمها في محاولة للظهور أمام **الناس كإمرأة حرة!**

نقرأ في مُذكرات **سيمون** المُعنونة**"ذكريات فتاة رصينة"**حينما سألت صديقها الفيلسوف الوجودي سارتر عن نظرته للمرأة،فأجابها**:"لو لم تكن المرأة موجودة لأخترعها الرجال".**

مات سارتر عام 1980، فعاشت سيمون سنوات من الألم والحزن.**"موت سارتر فرقنا بعد أن عشنا زمن طويل في حبّ ووئام"**. هذه هي خلاصة ما كتبته سيمون عن علاقتها بسارتر. وفي عام 1986 فارقت سيمون دوبوفوار الحياة.

جيمس دين

إنسان سعى طوال حياته القصيرة ليعرف بابًا عنوانه الحبّ والفرح والرجاء، لكنه ومنذ نعومة أظافره إصطدم بباب مغلق ، عنوانه الخيانة والحزن ونقص الحبّ. فعاش حالة من الحرمان لازمته طوال حياته، حتّى فلت من قبضتها بحادث سيّارة مروّع اودعه حياته. إنه الفنان الأمريكي **جيمس دين**، ذاك الفنان الشاب الذي يوجد اليوم نحو أكثر من 100 ناديًا ومنتديًا في أمريكا يحمل أسمه.

كانت أمه فلاحة بسيطة وأبوه عاملاً فقيرًا، خلقت له أمه منذ صغره جوًا من الحبّ والحنان ساعية لتلبية كل متطلباته، لكنه فقد هذه الأم الحنون عندما بلغ الثامنة من عمره. فلم يعرف طعم الحنان والحبّ من بعدها. تركتهُ أمه لعالم شديد القسوة، عالم لا يوجد فيه من يهتم بالآخَرين، حتّى أن أباه تزوج من امرأة أخرى بعد وفاة أمه، فكانت هذه الفاجعة بمثابة الضربة القاضية لجيمس دين.

كتب **جيمس** في قصاصة ورق ما يلي:"**ان ما يزيدني ألمًا وحزنًا هو أن أرى في حجرة أمي امرأة أخرى**". كان فنانا شديد الحبّ لامه، حتّى أنه كان يضع تحت وسادته خصلتين أخذهما من شعر أمه قبل أن تدفن. كان يحملها في الصباح بين أوراق كراسته وهو ذاهب للمدرسة. كان يبكي اثناء الدروس لان أمه ليست موجودة في هذا العالم. خاصم جيمس الحياة ليتذمر منها. وتمر الأيام ليكتشف خلال الجامعة أنه يستطيع التمثيل، فاعطاه أستاذه توصية إلى المُخرج **اليا كازان** ففتح له هذا الأخير أبواب المجد. إبتسمت الحياة من جديد لجيمس عندما تبادل الحبّ مع الفنانة الإيطالية **بيير إنجلي** ليحبها بكل جوارحه ورائ فيها ومعها الطريق الوحيد للتخلص من شعور الخصومة مع الحياة الذي كان يلازمه، ولكن يا فرحة ما تمت! إذ وقفت أُمّ بيير عائقًا بوجه ذلك الحبّ ليفترقا، فتتزوج بيير من **المغني فيك دامون**، ورغم ذلك تماسك جيمس وحضر الإكليل ثم خرج والحزن يعصر قلبه ويعاتب الله على كل ما حدث، وقال:"**المرأة كائن يُترك أما بالموت أو بالخيانة**"! لقد تركته أمه بالموت وحبيبته بالخيانة. حينها ذهب **جيمس** ليُصلي عند قبر أمه، وشعور الوحدة والخصومة يطارده ويمزق قلبه، فامريكا وما فيها من حركة وناطحات سحاب ووسائل تسلية وترفيه وأضواء تلغي الفرق بين الليل والنهار لم تستطع أن تزيح عنه هذا الشعور السلّبي، فشعر جيمس ان حزنًا عارمًا قد سيطرعليه، حزنًا سيدفعه للتخلص من

حياته، ومن هنا بدأ بالاستسلام ورفع الراية البيضاء، ليختار فيما بعد السيّارة للتخلص من حياته، فأصبح جيمس دين **رمزًا** عنيفًا للحزن والاحتجاج على عالم لا يهتم بإنسانية الإنسان، عالم يشعر فيه المرء انه قزمًا قياسًا لناطحات السحاب.
لو كان عالمنا يهتم بالمعاني الإنسانية لما كانت النهاية المأساوية لهذا الفنان الشابّ ولغيره من البشر. وتبقى جملته الشهيرة خالدة في أذهان التاريخ **(عش شابًا ومُت شابًا وكن كفنًا جميلاً.. ربّما سأجد في العالم الآخر ما لم أجده في هذه الحياة)**.

بول سيزان(1839-1906)

بول سيزان الرسام الفرنسي، ذلك العبقري الذي لم يرضَ يومًا عن نتاجه الفني، كان يتعذب حين لا تسعفه موهبته في التعبير عما يجول في أعماقه، فكان يقول: "إنني عاجز تمامًا عن التعبير عن نفسي، وعما تشتعل به مشاعري".
كان يستبد به اليأس أحيانًا؛ فيمزق بالسكين لوحاته التي قضى أيامًا طويلة في إبداعها، أو يلقي بها من نافذة المنزل بسبب عدم تقييم الأصدقاء والناس لها، وكان يقضي بضعة أيام مُتتالية في الحقل يرسم لوحة جميلة، ثم يجمع أدواته عند الغروب وينصرف إلى منزله، تاركًا لوحته التي رسمها وراءه لأنه لا يجد من سيقيّمها، فيرى إنها لا تستحق أن يتحمل عناء حملها في طريق العودة!
ورغم هذا العذاب فلقد تمنى أن يموت وهو يرسم، وتحققت أمنيته بالفعل، وفاجأته الأمطار والعواصف وهو يرسم ويتأمل الطبيعة صامتًا، ثم جمع أشياءه عند الغروب، وهمَ بالإنصراف، فأغمى عليه، وقضى ليلته محمومًا، وفي اليوم التالي عاد إلى نفس المكان ليكمل لوحته، فأغمى عليه مرة أخرى، ونقله المارة إلى بيته، فبقي في فراشه ثلاثة أيام، ثم مات.

جاك رمز المُحبين

من المشاهد الخالدة في ذاكرتي، هي المشاهد الأخيرة من فيلم تيتانك التي تصور لنا كيف أن الإنسان ينكر ذاته في سبيل من يُحب. فحينما غرقت السفينة تيتانك، طاف كلّ من جاك وروز (أبطال الفيلم) على سطح لوح خشبي صغير كان يعوم على مياه المُحيط، إلا أن اللوح العائم كان يتسع لشخص واحد فقط! فقررت روز أن يعتلي جاك اللوح لينقذ نفسه، لكنّه رفض وطلب منها أن تطفوا هي على اللوح العائم قائلاً لها: "حياتكِ هي حياتي". مات جاك مُتجمدًا مُضحيًا ذاته وحياته في سبيل من يُحب، وبموته منح الحياة لحبيبته التي ظلتّ أمينة لحبيب أحبّها حتّى الموت. وظلّ هو حيٌ فيها ومعها، وبواسطتها صار رمزًا جميلاً للحُبّ وللمُحبين.

شاهدتُ فيلم تيتانك بضعة مرات، كان أخرها في ألمانيا مطلع عام 2010، في بيت أحد الأصدقاء، في كلّ مرة أُشاهد الفيلم أُسجل بعض المُلاحظات، حتّى كانت هذه الأسطر التي أرى من المُفيد نقلها للقرّاء الكرام:

أحداث الفيلم مُعظمها مروية على لسان "روز" البطلة الحقيقة للقصة. يفتتح الفيلم بيوم جديد لفريق تنقيب يقوده بروك لوفيت الذي قضى سنواته الثلاث الأخيرة مُنقبًا في قعر المحيط عن قلادة تحمل (ماسة زرقاء) ضخمة تدعى قلب المحيط قيل أنها غرقت مع السفينة، وبدلاً من أن يُعثر على القلادة، تم العثور على رسم لفتاة عارية. أراد مُخرج الفيلم، الأمريكي من أصل كندي جيمس كاميرون أن يغوص بنا في قصة فرعية لاعلاقة لها بالفيلم بالمرة، حول صياد الكنوز الغارقة، الذي إستأجر سفينة أبحاث متطورة من أجل العثور على بعض الكنوز الضائعة في الأعماق. وقد تصورناه في البداية باحثًا جاء للتعرف على نظرية جديدة حول غرق السفينة العملاقة وكأنه يبحث عن أوراق نادرة، وقد بدأ هذا من التهليل والفرح الذي أحاطه به أتباعه بعد عثوره على

الخزينة، ثم إحساسه بخيبة أمل حين رأى الخزنة وقد أمتلأت بأوراق قديمة بلا فائدة، إلا من صورة لأمرأة عارية ستصبح محور أحداث الفيلم. هذا الرسم إستفز إمرأة في عامها الأول بعد المائة تُدعى روز دي ويت بوكاتر، فتحضر لتروي له قصة لم تحكها لأحد من قبل. قصة رومانسية الأيام الثلاث التي قضتها مع شاب أمريكي على متن سفينة قيل يومًا بأنها من المُستحيل أن تغرق !..أليس في كلّ هذا أصبع الله؟ كيف للوحة في قعر المحيط لسنوات طويلة أن تُحافظ على مادتها وجودتها دون أن تتأثر بعامل الزمن والماء، ودون أن تتلف؟! فبحسب وجهة نظري الإيمانية، أرى أن للرب يدًا في الأمر، لتتعرف البشرية على قصة حبّ برز فيها نكران الذات، قصّة ستُغني البشر من عِبرها، علّهم يتعلمون دروسًا من أحداثها.

مُعظم الأحداث مروية على لسان روز العجوز، وتحمل وجهة نظرها، لكن هُناك أحداثًا رأيناها لم تعشها البطلة الحقيقية! مثل تلك الدقائق التي عاشها جاك قبل صعوده السفينة، حيث كسب تذكرة إبحار فوق السفينة أثناء لعب الورق مع بعض الزملاء، فراح يحمل نقوده القليلة، وينطلق مع صديق له ليكون آخر الراكبين. ولأن الفيلم يدور على لسان المرأة، فإنها تعبر عن نفسها وهي تركب "تيتانيك". كل الركاب من حولها، كانوا يشعرون بالسعادة والفخر لركوبهم السفينة الجبارة في رحلتها الأولى، لكنّها كانت تشعر، كَم هي في سجن، برغم أنها كانت بصحبة أسرتها وفي طريقها إلى الولايات المتحدة للزواج هناك من خطيبها الثري "كال "الذي كان يُرافقها في الرحلة وقد حجز لها أفخم الأجنحة. علمًا أنها كانت لا تطيقه.

إذن، العلاقة القديمة التي تناولتها الروايات من قبل، بين عاشقين ينتميان إلى طبقتين تبعدهما مسافة اقتصادية وإجتماعية شاسعة تتكرر من جديد على متن الباخرة تيتانك. إعتمد المُخرج وصف جميع التفاصيل للتعبير عن الفوارق بين ركاب الدرجة الممتازة،

والدرجة الثالثة، وذلك من حيث نوع الأكل، والمبيت، والمكان، وفي نفس الوقت يعبر لنا الفيلم عن هوة شاسعة تفصل بين كال وخطيبته روز، فهي تقتني مجموعة من لوحات الفنان الإسباني الجديد آنذاك بيكاسو، والذي تراه رسامًا عظيمًا، أما (كال) فكان يسخر من رسوماته ويقلل من شأنه، هذا الإنفصال النفسي والفكري بين الإثنين يُكوّن سببًا في تكوين الرابط القوي بين روز وجاك الذي قادهما إلى علاقة حبّ لمع نجمها. على الرغم من أن جاك كان رسامًا أو هاويًا تقليديًا، يرسم أجساد النساء العاريات، إلا إنها كانت تجد تقاربًا معه، ليس فقط كرسام، ولكن كإنسان شفاف، مُتحرر، يعيش مثلُها على السفينة، لايفكّر إلا في لحظته الحاضرة وفي إسعاد نفسه وأسعاد الآخرين..

علاقة حُبّ نشأت بين جاك (الفقير المُعدم) وروز (الأرستقراطية) خلال أيام قلائل، وكأنهما يعرفان بعضهما البعض من زمن طويل، وكأن أحدهما وجد ضالته في الآخر(النصف الضائع)[2].

جاك المُنقذ

أهم ما في القصة هو عمق تلك العلاقة ومصداقيتها وتأثيراتها الوجدانية: جاك ينقذ روز من الغرق في بداية الفيلم (حسب رواية روز العجوز)، إذ حمل جاك على كاهله هذه المُهمة، عندما وجد نفسه مسؤولاً تجاه هذه الفتاة التي تفتقد لمعنى السعادة رغم ثراء عائلتها، وجد نفسه مسؤولاً تجاه تغييرها وإسعادها، وهي التي تحاول الإنتحار وإنهاء حياتها وهي في مُقتبل العمر،لأنها لم تجد في حياتها ما يجعلها سعيدة.

[2] أصبح بينهما وحدة فكر وقلب وحياة، بسبب المُشتركات الكثيرة التي كانت بينهما.

ما هو ملفت للنظر في الفيلم أن جاك منذ بداية الفيلم إلى نهايته لم يتجاوز دوره، دور المُحب الذي ينقذ حبيبته ويحررها من عالمها المُشبع بالمظاهر الخداعة والعجرفة. كانت روز الأرستقراطية الناعمة الملامح والتي تعج بالأنوثة والشفافية مُرتبطة برجل أستقراطي ثري، مُتعجرف، ينظر إلى الآخرين من برجه العاجي، كانت لا تطيقه، لكنّها قبلت به رضوخًا لأوامر الأهل ومسايرة للعادات والتقاليد.

كانت روز لا تأكل بيديها، لا ترقص حافية، ولم تنزع ثيابها لرجل قط، ولم تُمارس الجنس مع أحد. لا تعرف كيف تبصق، بل لا تدري ما هو البصاق. كانت تتصرف حسب الإتكيت الأستقراطي الذي يطلبه منها ذووها وأبناء طبقتها. إلا أن جاك الأمريكي الأصل (رمز الحُبّ والأمل والتحرر) استطاع أن يحبها ويقلب كيانها رأسًا على عقب، ليخرجها وينقذها من قوقعة الأرستقراطية التي تعيشها، فرأيناها ترقص معه في الطوابق السفلية، وتذهب معه إلى دهاليز مُحركات السفينة، وتشاهد رسومات لنساء عاريات رسمهن جاك القادم من فرنسا رمز الثورة الفرنسية وقلعة التحرر، فتعرض عليه أن يرسمها مُقابل أجر مادي، ثم تقضي معه ليلتها الأولى، وتتعلم البصق في المحيط، ليكون أول من تبصق في وجهه هو خطيبها، وكأنما هي بصقة التحرر في وجه العجرفة الطبقية والعجرفة الأرستقراطية!

لم تتحدث روز عن فتى أحبته وأحبها بكلِّ ما في الكلمة من معنى رغم قصر العامل الزمني، بقدر ما تحدثت عن إنسان نظرت إليه نظرة إعتزاز وإكبار، لأنه غيّر نظرتها للعالم وحررها من قيود كانت قد تكبلت بها دون إرادتها، ليقلب لها مفاهيمها عن الناس وعن العالم. واليوم إستطاع جاك أن يُقدم للعالم خبرة إنسانية ورسالة مليئة بالمعاني النبيلة عن الحبّ والتضحية ونكران الذات في سبيل الحبيب.

ذكريات روز خالدة

عندما شاهدت روز العجوز الفيلم، باحت بما دُفن في ذاتها من خلجات، فكانت كلماتها التي نطقتها وهي بصحبة أولادها وأحفادها على جرف أحد البحار، ما يلي: "رأيتُ حياتي كما لو أنني قد عشتها بالكامل. موكب مستمر من المناسبات، حفلات، يخوت، مباريات، رقصات، ألعاب، مُسابقات.. نفس الناس الضيقي الأفق، نفس الثرثرة الغبية. شعرتُ كما لو أنني أقف على حافة الهاوية، ولا من أحدُ ينقذني أو من يهتم بي، ولا من أحد لاحظني. آه .. أين أنت يا جاك"؟!

ثم غرقت عيناها بدموع الحسرة، وبعد تنهدات قالت:"قلب المرأة مُحيط عميق من الأسرار..لكنّكم جميعًا تعرفون الآن أن هناك شخصًا يُدعى جاك داوسون، أحببته وأحبني حتّى الموت. إنه أنقذني من جميع النواحي التي يمكنه أن يفعل. جاك الذي كان يرمز إلى الطبقة الفقيرة المُعدمة، من خلال حبّه لي، كأنه يقول لذوي الطبقة الاستقراطية: نحن بشر مثلكم، قادرون على أن نُحب بصدق، وننظر للحياة بتفاؤل. قادرون أن نُضحي من أجلكم في سبيل أن تحبونا، وتتفهمونا، وتعاملونا كبشر. لذلك كنتُ قد رفضتُ الصعود في قارب النجاة وفضلت البقاء مسجونة مع جاك، لأنني أدركت هذه الحقيقة التي تجاهلها جميع أبناء طبقتي وقتذاك،وهي أن هؤلاء الفقراء (الذين تم سجنهم في الطوابق السفلى للباخرة) هم بشر مثلُنا، يحملون قلوبًا من ذهب.. مملؤة بالحبّ والتضحية، ولولا هذه الطبقة الثالثة لما كان هناك طبقة أولى. وتضيف روز: إلى اليوم أتذكرك جيدًا يا جاك، أتذكر أيامنا الخالدة وأحنّ إليها، أتذكر إنقاذك لي عندما جعلتني أعوم على لوح خشبي وعكفت على الإمساك بيدي، أتذكر كلماتك الأخيرة معي، عندما طلبت مني أن أعدك بأن أعيش حياتي من بعدك، وأن أتزوج وأنجب أطفالاً، وعد يؤكد مفهوم الإنقاذ وتضحية

الحبّ ويعززه. فكان لك ما تُريد. أسميت ولدي بإسمك وكذلك كان الحال مع حفيدي. جاك أفتقدتك وافتقدك اليوم كثيرًا، بعد تلك السنين الطويلة لا تزال حيًا معي وأحنّ إليك كثيرًا. العالم بأسره اليوم، أصبح يُعرف من هو جاك داوسون، الذي ضحى بحياته في سبيل حبيبته التي أحبته ولا تزال تحبه للأبد. لقد أصبحت اليوم رمزًا ساميًا للتضحية وللحبّ والمُحبين. يا جاك إن كنت تسمعني، وأنا في هذه السنّ بعد أن أمسى وجهي الذي أحببته كالأرض اليابسة المُتشققة، أقول لك: أحبك وأحبك.... كَم تمنيت أن ألتحق بك في السماء ليتسنى لي رؤيتك..إلى أن نلتقي في عالم أفضل".

الحُبّ الحقيقي يدوم إلى الأبد

الحُبّ الحقيقي يشيب لكنه لا يشيخ

مَن يُحب لا يستغل ولا يُسيئ، لأن الله محبة، فحيثما يكون الحُبّ هُناك يكون الله.

بيتهوفن

بيتهوفن مؤلف موسيقي ألماني، أبصر النور سنة 1770 وتوفي في فيينا سنة 1827. تشمل مؤلفاته للأوركسترا تسعة سيمفونيات وخمس مقطوعات موسيقية على البيانو ومقطوعة على الكمان. كما ألّف العديد من المقطوعات الموسيقية كمقدمات للأوبرا.

إنَّ الحكمة القائلة: **(إن العبقري هو ذلك المُعذب)** نراها تنطبق على **الموسيقار بيتهوفن،** فالعذاب الذي تعرض له، عذاب يسحق قلب أي إنسان ويمزق فكره. وبفضل موهبته وموسيقاه وعبقريته وإيمانه بنفسه وبالرب، تجاوز المحنة وداس على الصعاب منتصرًا عليها وعندئذ استسلمت له الظروف ووقفت أمامه حاملة الراية البيضاء. كانت موسيقاه عزاء له عند الألم، فكثير من الآلام والأزمات إكتسحت حياته وتجمعت في قلبه، لكنها لم تستطع النيل منه، لان ألحانه كانت تُقلم أظافر الألم وتعزيه وتعزز فيه روح الإبداع.

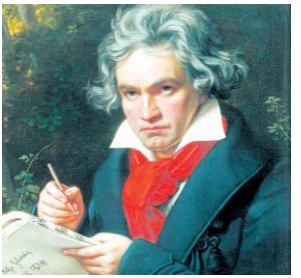

بدأ بيتهوفن يفقد سمعه في الثلاثينيات من عمره إلا أن ذلك لم يؤثر على إنتاجه الذي ازداد في تلك الفترة وتميز بالإبداع، فكان فقدان سمعه من أخصب فترات تأليفه الموسيقي.

واليوم كما كان بالأمس سيبقى بيتهوفن من أبرز عباقرة الموسيقى على مدى العصور، فله الفضل الأعظم في تطوير الموسيقى الكلاسيكية. ولا يفوتنا أن نذكر أنه قدم أول عمل موسيقي وعمره 8 أعوام!!

هكذا عاش **بيتهوفن** ظروفًا صعبة، لكنّه بحكم هذه الظروف عاش ولادة جديدة.

هكذا يُحول المُبدع عجزه إلى لوحة إبداع.

وهكذا تكون ولادة الأفكار القيصرية.

كولن ولسون

لم يكن حال الكاتب الإنكليزي كولن ولسون أفضل حالاً، إذ عبر عن نفسه في كتابه الرائع" اللامنتمي"؛حيث رفض أن يعيش عبثية الوجود، مُسايرًا الحياة، ويكون رقمًا عابرًا في مجتمعه وفي العالم، فصنع ذاته بنفسه رغم كل المُعاناة والمحن التي واجهته.

ولد ولسون في 26 يونيو 1931 ، وهو كاتب إنجليزي . كان من عائلة فقيرة من الطبقة العاملة. تأخر في دخول المدرسة، ثم تركها سريعًا لمساعدة والده في العمل. في الكبر عمل في وظائف مُختلفة، ساعده بعضها على القراءة في وقت الفراغ، بسبب قراءاته المتنوعة والكثيرة، نشر مؤلفه الأول (اللامنتمي)1956 وهو في سن الخامسة والعشرين. وتناول فيه عزلة المبدعين وغربتهم عن مجتمعهم،الذين قضوا حياتهم في بحث دائم عن الحقيقة وتساؤل عن السعادة، وعزا ذلك إلى الرغبة العميقة في ايجاد معنى الحياة.

يُعد ولسون نموذجًا للإنسان المُثقف والمُتمرد.

كان كتابه (اللامنتمي)ناجحًا جدًا، وحقق اصداء نقدية قوية، وجعل من الشاب الفقير كولن نجمًا في دوائر لندن الثقافية ولا يزال ينظر للكتاب على انه ساهم بشكل أساسي في نشر الفلسفة الوجودية على نطاق واسع في بريطانيا والعالم.

فاللامنتمي برأيه ليس مجنونًا، بل هو فقط أكثر حساسية وهو غريب عن العالم بعد أن ادرك أن لحياته معنى يختلف عن الآخرين، هو إنسان استيقظ من الفوضى، حسب رأيه، لأنه لم يجد سببًا يدفعه إلى الاعتقاد بأن الفوضى إيجابية بالنسبة إلى الحياة، يراها ببساطة جرثومة الحياة.

واللامنتمي يرى أكثر وأعمق من اللازم. الجاهلون والمخدوعون والسطحيون هم السعداء وحدهم بيننا لأنهم لا يتأملون الحياة ولا يعون الأمور على حقيقتها.

كما يؤكد على أن أهمية الوعي الإنساني يجب ألاّ يكون مُقيدًا، داعيًا إلى نهضة ثقافية جديدة. فالوعي لدى (المُنتمي) أشبه بسيارة قيدت عجلة قيادتها، فلا تستطيع أن تسير إلى الأمام، إلاّ في خط مُستقيم. بينما الوعي عند **اللامنتمي أشبه** بعجلة سيارة يمكنها أن تسير في كل الإتجاهات لأنه حُرّ. ويؤكد ولسن بان الحرية تعني حرية الإرادة، فالإنسان لا يستطيع أن يعمل إلا إذا كان لديه دافع، فإذا لم يكن هنالك دافع، لم يكن هنالك إرادة. فالدافع ينشأ عن الاعتقاد، فالإنسان لن يفعل شيئًا ما لم يعتقد بأنه ممكن وذو معنى. كما يجب أن يكون هذا الاعتقاد بوجود شيء، فالاعتقاد يعني بما هو حقيقي، إذًا فالحرية تعتمد على الحقيقة.

يرى ولسن بأن اللامنتمي يسعى للخروج من شرنقة التفاهة وسطحية النظرة والسلوك، وأن تتملكه إرادة القوة، من أجل حياة أكثر عمقًا وفرحًا وتقدمًا. ويسعى اللامُنتمي أيضًا للتعبير عن ذاته بطريقة مُختلفة أكثر نضجًا وعمقًا وفرادة،وهذا سبب تمايزه وتميزه، لأنه يعرف نفسه ومعنى حياته، وإمكانياته.

في كتابه سقوط الحضارات يقول أن اللأمنتمي همه إلاول أن يحصل على لحظة واحدة يستطيع فيها العالم فهم ما أدركه هو وأن يفهموه بشكل صحيح.

كما **ويؤكد بأن اللامنتمي ليس مَضطرًا ليرضي الآخرين، بل يعمل ما يراه مُناسبًا. صورة اللامنتمي حسب تصور ولسن: الإنسان الذي لا يكف عن الرغبة في الملاحظة والتجربة والاختبار والتأمل والتعلم، حتّى إذا كان ذلك يعني تجربة الموت.**

فالإنسان برأيه يميل إلى أن يكون على طبيعة محيطه، إذا كانت حضارة مريضة روحيًا فإن الفرد يعاني من المرض ذاته، وإذا

كانت صحته الروحية تساعده على تحمل أعباء الكفاح فإنه يصبح لامُنتميًا.
اللامنتمي يسعى بإستمرار في محاولة الحصول على مدركات جديدة، بحيث لا يقف عند نقطة وقف عندها الجميع، فيبدأ بإجترار المفاهيم القديمة.
ويؤكد على ضرورة العزلة والتأمّل للخلاص من مأزق الإنتماء، إذ يقول:"إن عصرنا يقف على حافة السقوط الأخيرة كالحضارة الاغريقية في عهد أفلاطون في تأمله في مشاكل آخرى أقل مباشرة من ذلك؛ وهذه العزلة هي الشرط الأساسي للبقاء على قيد الحياة، كما أنها علامة التفاؤل النهائي".
هكذا كان ولسن ولا يزال سمفونية مُميزة في الحياة. بل مُعادلة لها قيمتها ووزنها.

فينسيت فان غوغ Vincent van Gogh

وهكذا أيضًا كان **فان غوغ** الرسام الهولندي المُهمل المُضطهد (1853-1890) الذي عاش حياة تراجيدية. لقد عبر **فان غوغ** عن حياته من خلال ريشته وفنه، فرسم لوحة تتضمن حذاءًا مُمزقًا ومفتوحًا من المُقدّمة، وقد شاهدتُ هذه اللوحة في متحف فان غوغ في مدينة أمستردام بهولندا. وما أجملها من لوحة! عكست تلك اللوحة واقع حياة فناننا الهولندي المليئة بالصعوبات والفقر والإضطهاد والحرمان والمحاربة والأحباط، إذ حاول أن يشبه ويُعبر عن حياته من خلالها. لقد عاش إحساسًا بأن

البؤس لم ينتهي أبدًا ألا بالموت.
مات **فان غوغ** تاركًا لنا لوحات عظيمة وأشهرها "**آكلي البطاطا**" و"كرسي القش"، "**الحذاء الممزق**". لوحات خلدت ذكراه، بعد أن رمزت لإنسان لم يستسلم للحياة، بل وقف بوجهها وترك فيها أعمالاً وآثارًا خالدة.

كان **فان غوغ** وما زال علامة فارقة ومُميزة في تاريخ الفن والحياة. واليوم تباع لوحاته بملايين الدولارات، بعد أن عاش أثناء حياته يتحسر على لقمة العيش وعلى بحبوحة سعادة، فكانت نهايى حياته في مصحة. واليوم أثبتت مُراسلاته مع أخيه إنه كان يتمتع بذهن مُتوقد وروح إنسانية نبيلة،على عكس ما كُتب عنه بانه مُختل عقليًا ويعاني الأضطراب العقلي والنفسي.

لوحتي أكلي البطاطا و كرسي القش

بيكاسو وسلفادور دالي

"الفرق الوحيد بيني وبين المجنون هو أني لستُ مجنونًا"(دالي).

من منّا يجهل الرسام والنحات الإسباني **بابلو بيكاسو** الذائع الصيت الذي كان يرى بعبقريته وريشته سلاحًا ضد أزمات الحياة. وهكذا كان شأن مواطنه **العبقري سلفادور دالي** .. إذ كتب في إحدى مسوداته:"**إن العبقري لن يهزم ولن يموت من أذهان البشرية....**".

يعتبر الفنان الإسباني سلفادور دالي الذي أبصر نور الحياة في اسبانيا في مقاطعة قريبة للحدود الفرنسية سنة 1904 ضمن عائلة ثرية لم تبخل عليه بشي، من أهم فناني القرن العشرين. وهو أحد أعلام مدرسة الرسم السريالية ، تميز بأعماله الفنية التي تصدم المشاهد وتسحره بموضوعها وتشكيلاتها وغرابتها، وكذلك بشخصيته وتعليقاته وكتاباته غير المألوفة.

ومثلما حدث للرسام الهولندي الشهير "فان كوخ" فقد أطلق على سلفادور دالي اسم شقيق له كان قد توفي قبل ولادته بثلاث سنوات ويقول سلفادرو دالي عن ذلك: " لقد كنت بنظر والدي نصف شخص ، أو بديل ، وكانت روحي تعتصر ألماً وغضباً من جراء النظرات الحادة التي كانت تثقبني دون توقف بحثاً عن الآخر الذي كان قد غاب عن الوجود".

يرى النُقاد والدارسون والمنافسون له، إن في حياة دالي وفنه يختلط الجنون بالعبقرية. لكن دالي يبقى مُختلفًا واستثنائيًا.. في فوضاه، في إبداعه، في جنون عظمته، وفي نرجسيته الشديدة..

تأثر دالي بـ "نيتشه" لأسيما بكتابه "هكذا تحدث زرادشت"، فعمد إلى إطالة شاربه ليكون مثل شارب "نيتشه" وظل مُحتفظًا

بهذا الشارب إلى نهاية حياته .
كان من عائلة ثرية وعاش بترف، لكنه لم يكن سعيدًا، فكانت ريشته وسيلة للتعبير لما عاناه من قساوة الحياة واضطهاد منافسيه؛ لكنه لم يقف مكتفوف الأيدي ومشلول القوى، بل عرف كيف أن يخرج من شرنقة الظروف والصعاب ومؤامرات الأشرار ضده، فابدع وبصم بصمته المؤثرة وحقق ذاته وخدم البشرية تاركًا بعده اعمالاً خالدة رغم الإنتقادات التي لقيها في حياته وبعد مماته، إذ وصفوه بالمُضطرب نفسيًا والمجنون.

سلفادور دالي فنان ثوري مُبدع، له ذهن خصب يعجّ بالإشراقات والابتكارات والعبقرية.

هيجل

هذا هو حال حياة عدد كبير من المُبدعين، فالفيلسوف الإلماني هيجل(1770-1831) الذي وضع أُسس المنطق الجدلي، أمضى في شبابه بضع سنوات يُكافح لكسب رزقه الضروري، ثم مات أبوه، وورث عنه بعض المال، فقرر أن يتفرغ للفكر والدراسة، واختار مدينة صغيرة ليعيش فيها، وراح يمضي الساعات الطويلة كل يوم، قارئًا وباحثًا ومُفكرًا، حتّى تشكلت معالم فلسفته الجدلية، وبلغ من استغراقه في أفكاره تقوس ظهره، وتجعد جبينه، واصبح خدّاه غائرين وهو في عمر الشباب، فوصفه مُعاصروه بأنه كان يبدو في هيئة موظف مُرهق بالعمل دائمًا.. لكنه كان موظفًا مهمته التفكير! مات بالكوليرا سنة1931.

يعد هيجل من عباقرة ألمانيا الثلاثة مع جوته وبيتهوفن.

هكذا ذهنه التهم جسمه، كما يلتهم الفكر والإبداع حياة الكثيرين من المُبدعين.

القديس دون بوسكو

في تاريخ كنيستنا الجامعة نرى في القديس **دون بوسكو** خير مثال لنستشهد به، إذ كان في مطلع حياته واختلاطه بالأولاد المُهملين من حثالة المُجتمع، إعتبروه مجنونًا وخصوصًا الرئاسة الكنسية آنذاك.
وفي أحد الأيام وضعوه في عربة لتأخذه إلى مُستشفى المجانيين ليبقى محجوزًا فيها.
لقد اضطهده كثيرون ووقفوا أمام رسالته ندًا قويًا حتّى من داخل الكنيسة! لكنه لم يستسلم للواقع المرير، بل كان قويًا بالرب، فثابر وحقق رسالته التـي انطبعت في قلوب الكثير، وانتشرت في كل أرجاء العالم من خلال رهبنتين، واحدة للرجال (الآباء السالزيان) والأخَرى للنساء.
هذه شخصيات أصحابها امسوا عباقرة ورموز بارزة ، لأنهم عاشوا ظروفًا صعبة، لكنهم بحكم هذه الظروف عاشوا ولادات جديدة.
ونحن اليوم مدعوون لتجنب روح التشاؤم الذي بات داء عصرنا المزمن، ولنتجاوز ذلك اليأس والخصام مع الحياة... بل لنتعلم من هؤلاء أن لا نستلم للظروف ولصعاب الحياة، وكيف نترك بعدنا بصمة مؤثرة.

فبقدر عمق وكثافة الأثر الذي نتركه بعدنا في هذه الحياة، بقدر ذلك سيكون حجم خلودنا.

المؤرخ العلاّمة الأب د. بُطرس حدّاد(1937-2010)[3]

أسمه قبل الانخراط في الكهنوت ناظم ميخائيل يوسف مقدسي رفو حدادّ . تولد في الموصل بتاريخ 25\11\1937 (وأخطأ من قال 1938)، من أسرة كلدانية عرفت بالتزامها الديني تضم ثلاثة أبناء وابنة واحدة: غانم حدّاد الأخ الأكبر وأخته غانمة وأخاه يوسف، وناظم الأبن الأصغر، وأباه ميخائيل يوسف الذي توفي وهو لايزال صغير السن وأمه نجيبة حنا قطلو واللذين تعلم منهما مخافة الرب ومحبة كل الناس بدون تميز ومنهما تعلم أيضًا التمسك بجذور كنيسته وشعبه وبلده. كان جده يوسف كبير شمامسة بيعة مسكنتا في الموصل، ويلقب شماس يسو، كان من أشد الذين تأثر بهم الأب بطرس الذي اعتاد منذ صغره التردد على الكنيسة أكان مع إخوته أو مع زملائه طلاب المدرسة التي كانت تجمع أبناء كلدان الموصل، تلك المدرسة التي تأسست في النصف الأول من القرن التاسع عشر، بجوار كنيسة شمعون الصفا في الموصل ولهذا عرفت المدرسة بأسم مدرسة شمعون الصفا، إذ كان معظم أبناء الطائفة الكلدانية يترددون عليها.

بعد أن أنهى الأب بطرس حدادّ دراسته الابتدائية عزم على الدخول في سمنير الكلدان في الموصل، إلاّ أن عائلته منعته من ذلك وحُجتهم انه لا يزال صغير السن، فأنتقل إلى مدرسة متوسطة حكومية أكمل فيها الصف الأول المتوسط الا أن حماسه

[3] سبق وأن نتشرتُ هذه السيرة في اليوم الثالث لوفاة الأب حدّاد وأخذ عنها الكتاب، وهذه السيرة نُشرت في العديد من الصحف والمواقع الألكترونية ومن أبرز من أستشهدوا بها يوسف قزنجي وباسم حنا بُطرس.

واندفاعه الشديدين ورغبته نحو الإقبال على الكهنوت وخدمة النفوس ودعوة الرب كلها عوامل دفعته إلى دخول المعهد الكهنوتي في اواخر أيلول سنة 1951 بعد أن تم قبوله في خريف العام ذاته وهناك أكمل دراسته المتوسطة .

في صيف 1954 أُختير من إدارة معهد شمعون الصفا البطريركي في الموصل لإكمال دراسة البكلوريوس والماجستير والدكتوراه في الجامعة الاوربانية (بروبغندة- كلية إنتشار الإيمان) في روما (سُميت بالاوربانية نسبة إلى البابا أوربانوس الثامن الذي أسسها). أوفد ناظم إلى روما مع أبن جلدته فاروق حَبّي والذي غدى بعد ذلك العلاّمة الكبير الأب يوسف حبّي، وهناك نهل من العلوم والثقافات وتعلم اللغات إلى أن نال شهادة البكلوريوس سنة 1957 وبعدها أكمل دراسته العليا، فنال شهادة الماجستير في الفلسفة سنة1961 عن اطروحته عن القديس أوغسطين وله ماجستير في اللاهوت عن اطروحته المُسماة "سفرة الراهب صوما في القرن الثالث عشر من بغداد إلى الغرب" . رسم كاهنًا في روما بتاريخ 20 /1961/12.

المورخ الكبير الأب بطرس حدّاد في قداسه الأول (الصورة من أرشيف الأب جزراوي).

نال شهادة الدكتوراه في اللاهوت سنة 1964 من الجامعة المذكورة.

عاد إلى مسقط رأسه الموصل سنة 1964، حيث تعين حينها في كنيسة أم المعونة في منطقة الدواسة، وهذا كان أول تعيين كنسي رسمي له. في سنة 1966 أنتقل إلى بغداد للخدمة في المعهد الكهنوتي البطريركي في الدورة معاونًا للأب (المطران) إبراهيم إبراهيم؛ إذ طلبه من بغداد البطريرك الطيب الذكر مار بولس الثاني شيخو ليقوم بتدريس التاريخ الكنسي في المعهد الكهنوتي الكلداني المنتقل إلى بغداد -الدورة. وأستمر في الخدمة فيه إلى عام 1968. إذ تعين للخدمة في كنيسة مار يوسف البتول- خربندة- كمعاون للخوري قرياقوس حكيم رحمه الله .

كان الأب بُطرس منذ قدومه الى بغداد قد أهتم بالثقافة والتراث العربي والسرياني والعراقي، كما كان صديقًا حميمًا لبعض الكتاب المهتمين بالتراث من أمثال عبد الحميد العلوجي وكوركيس عواد.... في صيف 1968 أوعز إليه الطيب الذكر البطريرك مار بولس شيخو للعمل في ارشيف البطريركية الذي كان وقتذاك في دير القديسة تريزيا في بغداد- السنك وأستمر في العمل إلى 1974.

سنة 1978 عُين للخدمة في كنيسة ما ر بثيون الكلدانية في حي البلديات، هذه الكنيسة التي خدمها 23 سنة وأحبها بكل جوارحه وبكل ما تحمله الكلمة من معنى، وقد تتلمذت على يديه وأشرافه هناك.

ولما تسنّم غبطة مار روفائيل الأول بيداويد الكرسي البطريركي سنة 1989 عينه مُديرًا للديوان البطريركي/ قلم البطريركية ومسؤولاً عن أرشيف البطريركية الكلدانية، وفي بعض الزيارات

خارج العراق كان يرافق البطريرك بيداويد كسكرتير له.

ولما أصبح المُطران المُستقيل عمّانوئيل دلّي بطريكًا على الكلدان في 12/3/ 2003[4]، أستمر عمل الأب حدّاد في البطريركية الكلدانية. حيث عملتُ تحت أشراف الأب الفقيد سنة 2004 بصحبة الأب نادر إسماعيل الراهب في أرشيف البطريركية ومكتبتها العامرة بدعوة من المعاون البطريركي وقتذاك مار أندراوس أبونا رحمه الله، وبمباركة البطريرك الجديد عمّانويل الثالث دلّي. وكان الأب حدّاد وقتذاك يُحضر لنشر رسائل البطريرك مار يوسف أودو فكان بين الحين والاخر يوعز إليّ بجلب رسائل البطريرك أودو ووضعها في مكتبه في البطريركية ليتأكد من تاريخ معين أو أسم ما... إذ كان رحمه الله دقيقًا في عمله وحريصًا على ما ينشر وينتج.

أستمر الأب بطرس في منصبه في البطريركية إلا أن سوء حالته الصحية وسوء الأوضاع الأمنية دفعته في صيف 2006 إلى طلب إعفائه من المنصب الذي وحسب ظني لايزال شاغرًا من بعده إلى يومنا هذا..

بتاريخ 2001/8/6 عُين للخدمة في كنيسة سلطانة الوردية (قديسة ريتا- أمُّ الدرج) كرادة خارج. وفي مطلع رسالتي الكهنوتية خدمت معه في هذه الكنيسة فترة قصيرة.

للفقيد مكتبة كبيرة عامرة وغنية بأمهات المراجع والمصادر، تربو على 10 آلالف كتابًا ومجلة ومخطوطًا، بحسب تقدير الأب

[4] نُصب بطريركا في كاتدرائية مار يوسف- خربندة ببغداد في 2003/12/21.

الراحل، سبق وأن تبرع لي شخصيًا سنة 2005 بما يزيد عن 200 كتاب ومجلة، وقبلها كان قد تبرع سنة 1992 لمكتبة المعهد الكهنوتي ما يقارب ألفي كتاب ومجلة .كما كان يمتلك ارشيفاً غنيًا من الصور النادرة والمهمة التي توثق حُقبًا زمنية مهمة في تاريخ الكنيسة وتاريخ العراق وشخصيات كان لها دور كبير في حياة الكنيسة والبلد. واهتم رحمه الله بأدب الرحلات فترجم عن الفرنسية والإيطالية واللاتينية والإنكليزية إلى العربية مؤلفات عدة تحكي صفحاتٍ من تاريخ العراق الذي أعطاه جُلَ اهتمامه، إذ كان يدفعه في ذلك حُبه وحرصه على حفظ تراث بلده وكنيسته ومساعدة الباحثين وطلبة الدراسات العليا بما يصبون إليه من حقائق ومعلومات.

كما أهتم رحمه الله بأدب الرحلات والإستشراق إلى بلاد وادي الرافدين . إذ ترجم عن الفرنسية مُقتطفاتٍ من رحلة تيفنو إلى العراق المنشورة في مجلة بين النهرين (1974)، وعن الايطالية ترجم رحلة الأب فنشنسو إلى العراق ونشرها بقسمين الأول نشر بمجلة مجمع اللغة السريانية (1975) والقسم الثاني نشر في مجلة المورد (1976) وقد طبعت الرحلة بكتابٍ مستقل في الموصل سنة 2009، وله عن الانكليزية رحلة تيلر إلى العراق المنشورة بمجلة المورد (1982) العدد1، وعن الفرنسية رحلة لجان إلى العراق التي نشرها في مجلة المورد (1983) العدد3، وطبعت بكتاب مُستقل في بغداد سنة 2009، كما ترجم تقرير المطران باييه عن العراق وهو باللغة اللاتينية ونشره في مجلة بين النهرين (1983) وعن اللاتينية أيضا ترجم الرحلة الشرقية للأب فيليب الكرملي ونشرها في مجلة المورد (1989) العدد4، وعن الإيطالية ترجم رحلة فيدريجي إلى العراق المنشورة في مجلة المورد (1989) العدد4، وعن الايطالية ترجم أيضًا رحلة ديللافاليه إلى العراق (السائح العشق وقصة الحبّ مع ست معالي

العراقية) طبعت ببغداد سنة 2001، وكذلك رحلة سبستياني إلى العراق القرن السابع عشر طبعت ببغداد سنة 2004 .

سنة 2005 صدرت له - ببغداد - رحلتان ايطاليتان هما رحلة بالبي إلى العراق ورحلة أوجين فلاندان رحلة في ما بين النهرين. وفي سنة 2009 صدرت له رحلة أخرى عن الفرنسية هي رحلة من بغداد إلى حلب للوي جاك روسو، ولديه رحلات أخرى كانت قيد الطبع في طهران ولندن والأخرى تحت الترجمة.

كان عضوًا في المجمع العلمي العراقي (هيئة اللغة السريانية). وعضوًا في إتحاد كتاب العراق. وعضوًا في دائرة التاريخ والتراث، الواقعة في شارع العلاوي ببغداد. من مُحبي شارع المتنبي وكان مُلتقاه في مكتبتي المثنى والرباط. عضوًا في هيئة أو بيت المدى للثقافة والفنون. كان يتمتع بعلاقات مُميزة في الأوساط الثقافية العراقية والدولية، مُنفتحًا على الجميع، فأحبه الجميع. له أكثر من مُقابلة تلفزيونية في تلفزيون العراق وقناة عشتار الفضائية وقناة الشرقية، إذ تحدث في قناة الشرقية عن الأب انستاس الكرملي.

المؤلفات

صدر للأب بّطرس حدّاد ما يزيد عن ال(40) نتاجًا بين ترجمة وتحقيق وتأليف، نذكر منها:

- المُرشد إلى القدّاس الكلداني (باكورة أعماله).
- البُشرى السارة.
- التاريخ الصغير (ترجمة).
- الفاتيكان (ترجمة).
- الرهبانيات النسائية في الكنيسة الكلدانية.
- رهبانية بنات مريم الكلدانيات.
- أخواتكم الراهبات الكلدانيات.

- صفحات ناصعة (عن البطريرك شيخو في طبعتين 1972-1980).
- المُعجزات بالتعاون مع الأب فرنسيس المُخلصي
- تلاميذ المسيح بالتعاون مع الأب فرنسيس المُخلصي
- الصلاة الربية بالتعاون مع الأب فرنسيس المخلصي (ترجمة)
- فهارس المخطوطات السريانية والعربية في خزانة الرهبنة الكلدانية بالتعاون مع الأب (المطران) جاك إسحق (جزءان).
- يسوع بحسب متّى (طُبع بمناسبة صلاة الأربعين للأب فرنسيس المُخلصي).
- المخطوطات العربية النصرانية في مكتبة المتحف العراقي ببغداد،بغداد-1987.
- دير ما اورها
- الشهر المريمي وطبع بعدة طبعات في العراق وخارج العراق
- قلب يسوع الأقدس وطبع أيضًا عدة طبعات في العراق وخارج العراق
- قديسة ريتا (طبعتان).
- مار إيليا الحيري
- كنائس بغداد وديارتها (وهو بحسب رأيي المتواضع واحد من أثمن وانفس مؤلفاته التاريخية) بحيث يعد مرجعًا في تاريخ كنيستنا وتاريخ بغداد الحديث.
- يوميات الحرب العالمية الأولى (الطبعة الأولى أمريكا).
- يوميات الحرب العالمية الثانية (الطبعة الثانية الذي طبع باشرافي بالتعاون مع الأب حبيب النوفلي ضمن منشورات كنيسة مار كوركيس الكلدانية) 2003 وفي مؤخرة الكتاب نشرتُ جزءًا من سيرته الذاتية.
- مختصر الأخبار البيعية (تحقيق ونشر).

- رحلة ديللافاليه إلى العراق (السائح العاشق) (ترجمة عن الإيطالية).ط 1 2000والطبعة الثانية نشرتها له إحدى المؤسسات العراقية التي تُعنى بالتراث سنة 2004.
- إبرشية عقرة الكلدانية (تحقيق).
- المؤسسات البطريركية (ترجمة عن الفرنسية)، بالتعاون مع الأب ألبير أبونا، ونُشر الكتاب باسم المعاون البطريركي وقتذاك عمانوئيل دلّي(بطريرك الكلدان الحالي)[5].
- عِبر من كتب التراث (مقالات في مجلة الفكر المسيحي - باب عبرة من الأمس. جمعتها له ونشرتها في كتاب بعد أن تمت طباعته في شارع المتنبي 2003).
- وثائق آل رسام (منشورات الرهبانية الكلدانية، كنت قد أدخلتها على الكومبيوتر وأشرف على الطباعة الأب سامر صوريشوع الراهب).
- ما ر يوسف الأول (منشورات الرهبانية الكلدانية ، بجهود الأب سامر صوريشوع).
- رحلة سبستياني (الراهب الكرملي) كنت قد نضدت الكتاب وإشرفت على أخراجه الفني وطبع في مطبعة الديوان ببغداد.
- رحلة من بغداد إلى حلب للفرنسي روسوّ.
- رسائل البطريرك ما ريوسف أودو (جزءان) منشورات الرهبانية الكلدانية بجهود الأب سامر صوريشوع الراهب
- رحلة الجوهري البندقي بالبي
- نُبذة في تاريخ المدرسة الكهنوتية للخوري داود رمو منشورات المعهد الكهنوتي بغداد 2002 (تحقيق).
- الخواطر للخوري داود رمو (تحقيق وتعليق).

[5]نقلاً عن لسان الأب حداد في نيسان 2003.

- وثائق تاريخية كلدانية ،حققها ونشرها الأب بطرس حدّاد، بغداد- 2010.

وهو يرقد في مستشفى الراهبات ببغداد، صدرت له عن الفرنسية رحلة من اسطنبول إلى البصرة1781 للرحالة الايطالي سيستيني المطبوعة في بيروت سنة 2010، وله رحلتان قيد الطبع أحداهما كانت تُطبع في طهران والأخرى في لندن.

- رحلة "أوجين فلاندان" في مجلة مسارات المترجمة عن الفرنسية مع العدد الخاص عن علي الوردي.

إنّه نجم مُضيء وعلم من اعلام كنيسة العراق وكنيسة المسيح، قدّم الكثير والكثير للكنيسة وللعراق وللتاريخ، إنطفأت شمعة حياته بعد مُعاناة مع المرض والعزلة، وبموته أنطوت صفحة عطرة كان لها صدى فواحًا في تاريخ كنيستنا وشعبنا العراقي.

بُطرس حدّاد الكاهن، الباحث، المؤرخ، الكاتب، المُترجم، يعرفه القاصي والداني،أشهر من نار على علم. له أسم نظيف وتاريخ عريق في الكهنوت وفي مجال الكتابة والتأليف والأبحاث التاريخية، علاوة على خدمته الكهنوتية لاسيما في كنيسة مار بثيون الكلدانية وكنيسة سلطانة الوردية في بغداد- كرادة خارج، بحيث أحبه الصغير والكبير سواء في الموصل أو بغداد.

نشر الأب بُطرس الكثير من المقالات الرصينة على صفحات أكثر من (20) مجلة ونشرة محلية وعالمية وبعدة لغات. له مقالات وبحوث رصينة في هذه المجالات على صفحات المجلات والنشرات الآتية:

- افاق عربية

- الفكر المسيحي
- بين النهرين (أحد أعضاء تحريرها)
- قالا سوريايا
- مجلة المجمع العلمي العراقي (هيئة اللغة السريانية)
- مجلة الأتحاد السرياني
- نجم المشرق(أحد أعضاء تحريرها)
- مجلة الطائفة الكلدانية في حلب
- المورد
- ربنوثا (للرهبان الكلدان)
- مجلة المشرق البيروتية
- مجلة المسارات
- نشرة الكنيسة التي كانت تصدرها البطريركية الكلدانية في مطلع الستينيات.
- القيثارة (التي تصدرها الرسالة الكلدانية في لندن)
- نشرة الشهيد (اسسها أثناء خدمته في كنيسة الشهيد مار بثيون.
- نشرة العهد (لراهبات الكلدان)
- نشرة الوردية (كنيسة سلطانة الوردية)

وأذكر بعض مقالاته الرصينة: مواطن المخطوطات السريانية في العراق/ روفائيل مازجي/معهد شمعون الصفا الكهنوتي لبطريركية الكلدان/ رؤساء المعهد الكهنوتي/البطريرك جرجيس عبد يشوع خياط/أرشيف البطريركية الكلدانية/ القلاية الأبوية في الموصل/رحلة البطريرك يوسف أودو إلى روما سنة 1869/المطبعة الكلدانية في الموصل/تاريخ الكلدان في حلب/محاولات التقارب بين الكنيستين الكلدانية والأثورية/القلاية الأبوية في الموصل/البطريرك يوسف أودو ووصيته الأخيرة/مذكرات بطريرك جديد/ أخبار المعهد البطريركي على عهد البطريرك مار إيليا عبو اليونان/السائح العاشق/الأب يوسف حَبّي وداعًا/العفو أقرب إلى التوبة (مسرحية ترجع إلى سنة

1887م)/ أوراق متناثرة في خزانة البطريركية الكلدانية العامرة/أضافة إلى عبره في باب عبرة من الأمس في مجلة الفكر المسيحي.

- هذا وكان أخر بحث نشره الفقيد، في أواخر أيامه، بعنوان (شماسة كنيسة مسكنتة فى الموصل فى خمسينيات القرن المُنصرم) القسم الأول - مجلة نجم المشرق-عدد (63) خريف عام 2010، والقسم الثاني جاء في نفس المجلة- عدد (64).

له مُشاركات بأكثر من مؤتمر كنسي محلي وعربي ودولي، ومن أرصن مشاركاته؛ شارك عام 1984 في مؤتمر للدراسات السريانية في هولندا جامعة خرونكن، حيث استعرض دراسته لمخطوط حققه ونشره فيما بعد باسم (مُختصر الأخبار البيعية).

- وله مُذكرات يومية شبيهة بالخواطر للخوري داود رمو.

كان رحمه الله يتقن السريانية والعربية والإنكليزية والأيطالية واللاتينية والفرنسية ويعرف القليل من الالمانية.

كان صديقًا حميمًا لبعض الكتاب المُهتمين بالتراث من أمثال عبد الحميد العلوجي وكوركيس عواد.... ناهيك عن علاقته الوطيدة مع مُحب التراث بطرس نعامة رحمه الله، وعلاوة على إهتمامه بتاريخ الكنيسة وتاريخ العراق، فقد أهتم رحمه الله بأدب الرحلات والإستشراق، فترجم عن الفرنسية والإيطالية واللأتينية والإنكليزية إلى العربية مؤلفات عدة تحكي صفحاتٍ من تاريخ العراق الذي أعطاه جُلَ اهتمامه، إذ كان يدفعه الى ذلك حُبه وحرصه على حفظ تراث بلده وكنيسته ومساعدة الباحثين وطلبة الدراسات العليا بما يصبون إليه من حقائق ومعلومات.

اواخر حياته

عاش الأب حدّاد حياته خلف الأضواء ولاسيّما في سنواته الآخيرة، إذ عاش مُنزويًا في مقر إقامته وخدمته في كنيسة

سلطانة الوردية ببغداد، ولم يلقَ أي أهتمام يذكر، فكرَّس ذاته وأفنى نفسه من أجل التراث والتاريخ وإن كان هذا على حساب خدمته الرعوية في الكنائس التي خدم فيها. والحق يقال صعب التوفيق الدقيق بين متطلبات حياة الكاهن ورسالته، وبين تطلعاته ومواهبه وهواياته وواجباته كرجل علم .. والأب حدّاد بقدر ما خدم كنيسة العراق، فلقد خدم أيضًا العراق والعراقيين والتاريخ علمًا وأدبًا وثقافة وتراثًا في حياته.

لقد تنوعت حياته تنوعًا كبيرًا، فهو كاهن ومختص باللاهوت وراعي كنيسة ومترجم نصوص تاريخية عن لغات أخرى، ومحقق لتواريخ ، وكاتب سير وتراجم، وإنسان يمتلك حسًا فنيًا، أحَبَّ الموسيقى والترانيم، كان يمتلك صوتًا شجيًا ويتقن ألحان ولغة الطقس الكلداني، علاوة على إنه رسّام تشكيلي وله عدة محاولات في ذلك. كما كان حسن الخط، فَصيحُ اللسان خطيب لبق يرتجل كلماته ومواعظه، مُحبًا لجميع الناس بلا تميز. كان الراحل الكبير يُعاني من مرض السكري، لازمه إلى آخر حياته.

بتاريخ 2010/10/30 تدهورت صحته وشعر بالإنحلال الجسدي. ورغم المتاعب التي كان يُعانيها إلا أنه رفض الذهاب إلى المستشفى. وفي صباح اليوم التالي 2010/10/31 في يوم مذبحة كنيسة سيدة النجاة، ساءت حالته ولم يتمكن من الوقوف على قدميه، ولم تسعفه عصاه بالوقوف! فأتصل بعازف الجوق وأصطحبه إلى مُستشفى الراهبات في الكرادة داخل- منطقة أربعين حرامي ببغداد الجريحة وهو يتعكز على عكازته التي استند عليها في الفترة الأخيرة وعلى ذراع عازف الجوق. وبينما كان يهم للخروج من غرفته للذهاب إلى المستشفى[6] ذهب إلى مكتبه، ونظر فيه حيث كان يوضع فوقه كتاب كان قد إنهمك فيه،

---

[6] **يقول سعد سلوم:" حينما دخل المستشفى بعد حادثة كنيسة سيدة النجاة اتصلت به تليفونيًا، فجاءني صوته ثابتًا وكأنه رجل لا يستعد لملاقاة الموت فقال: أن هذا الظلم يجب أن ينتهي". وكانت هذه العبارة بمثابة نداء إستغاثة ووصية.**

فنظر إليه وقال رحمه الله:" آه يا كتابي العزيز سوف أشتاق لك كثيرًا". كانت نظرة الوداع. ثم أوصى الشباب الذين كانوا متواجدين في باحة الكنيسة على الإستمرار بالحضور إلى الكنيسة والتمسك بإيمانهم وبلدهم"[7].

للأسف يومًا بعد يوم كانت حالة الفقيد تزداد سوءًا وصحتة تتدهور، وهو بالمستشفى كان يشعر بالخوف والوحدة ورؤساؤه كالعادة غير مبالين!! (فلم يلقَ أي أهتمام يذكر لا كنسيًا ولا حكوميًا)!! فشخص كالأب حدّاد لو كان في بلد أخر وكنيسة أخرى لكان حمل على كفوف الراحة!. هكذا تعلمنا في الشرق أن نهمش مُبدعينا في حياتهم ونكرمهم بعد مماتهم!! لكنه لم يُكرم. كُتب عنه في الصحف والمجلات والمواقع الألكترونية واقيمت له مجالس العزاء والتأبين من قبل المثقفين والباحثين وطلبته، ثم صدر عنه عدد خاص في مجلة تُعنى بها جمعية تهتم بالتاريخ والباحثين وهي جمعية علمانية. وتم الإتفاق مع أستاذنا الجليل الأب يوسف توما لنشر سيرته الذاتية في مجلة الفكر المسيحي الغرّاء بمناسبة مرور سنة على وفاته.

لقد رحل إلى دار البقاء وفقدناه قبل آوانه. لقد خسرناه!! وخسارته، خسارة فادحة لا تعوض بثمن!

رقد بالرب بعد أن لفظ الرجل أنفاسه الأخيرة بكل هدوء وسلام عصر يوم الجمعة 2010/11/26 عند قرابة الساعة الخامسة والنصف عصرًا في مستشفى الراهبات ببغداد، وله من العمر 73 سنة بعد أن تفاقم لديه مرض السكري ومعاناته من ارتفاع اليوريا وعجز الكليتين. آه لو كانوا قد عالجوه في أوروبا أو أمريكا لكان بمقدوره تقديم الكثير وإغناء المكتبات من أبحاثه ودراساته وتحقيقاته! ولكن من يسمع ومن يهتم؟!!

[7] .(معلومة أمدني بها الأخ عمر كتي /عازف جوق كنيسة سلطانة الوردية-بغداد).

أهتزت الأوساط الفكرية والعلمية والتاريخية لرحيل هذا الصرح العراقي الكلداني العريق. نعاه كل من فخامة الرئيس العراقي السيّد جلال الطلباني ونائبه السيد عادل عبد المهدي. وسيرة حياته التي نشرتها في موقعي عنكاوا وقناة عشتار الفضائية تصدرت العديد من الصحف العراقية علاوة على المواقع الألكترونية وقد أخذ عنها بعض الكتاب. جرت مراسيم التشييع وصلاة الجناز في كنيسة مريم العذراء في منطقة "الكرادة خارج" وسط العاصمة بغداد صباح يوم السبت 2010/11/27. ثم شيع مئات المسيحين والمسلمين في موكب رسمي ببغداد جثمانه الطاهر بعد أن انتشر خبر وفاته أسرع من البرق في الصحف والمجلات والمواقع الالكترونية ووسائل الأعلام المرئية والمسموعة، وكُتب عنه الكثير من اقلام عراقية. حضر مراسيم تشيعيه شخصيات أدبية وعلمية وسياسية وشخصيات الدولة العراقية ورجال دين.

الموكب الرسمي الحكومي لتشيع فقيد العراق والتاريخ والتراث وفقيد الكنيسة العلاّمة الأب د. بُطرس حدّاد.

دفن في مقبرة الكهنة للكلدان في بعقوبة. وأقيم له أكثر من تأبين ولاسيّما من قبل مُحبيه وأصدقائه وهيئة التاريخ وبيت المدى للثقافة والفنون وبعض تلاميذه.

مُعاناته مع النشر

علاوة على أنه كان دقيقًا وحريصًا على ما ينشر، كان رحمه الله يشكو لي من أن ترجماته لادب الرحلات عن لغات عديدة لم تكن تحظى بالإهتمام، فهناك مخطوطة تعين عليه الإنتظار خمسة عشر عامًا حتّى رأت النور وصدرت عن دار المأمون أخيرًا. وكانت بعض كتبه قد صدرت عن دار الوراق في لندن دون رخصة منه أو من دون علمه. وتكرر الامر ذاته مع دار الموسوعات في بيروت، وقد تعين عليه خلال السنوات السابقة أن يطبع كتبه بنفسه ومن أمواله الخاصة!

أما فهرسه الضخم والمُفصل عن مخطوطات البطريركية عن المخطوطات السريانية والعربية في خزانة بطريركية الكلدان في بغداد، والذي يمثل جهد سنوات طويلة لعمله مُشرفًا على ارشيف البطريركية والمخطوطات في الدار البطريركية ببغداد منذ العام 1989، فإنه - على ما أعتقد - ما يزال مخطوطًا مودعًا في أحد الادراج في مكتبته دون نيل فرصة للطباعة.

قبل حادثة كنيسة النجاة كان الأب حدّاد قد تعرض إلى ضربة أولى في حادثة تفجير شارع المتنبي وهو السلوى الوحيدة المتبقية له، إذ يلتقي بأصدقائه القدامى ويتبادل معهم الأحاديث والأفكار والمطبوعات في مكتبتي المثنى والرباط.

حادثة للتاريخ:

وأذكر هذه الحادثة للتاريخ: في ذلك اليوم الذي اشيع فيه بوجود انتحاري بحزام ناسف في السوق فركض الناس في جميع الاتجاهات وتعثر الأب حدّاد وسقط في الشارع وديس بالاقدام إلى أن ساعده بعض المارة للوقوف على قدميه والتراب يعلوه، ولم يساعده ثقل قدميه على العودة إلى شارع المتنبي الذي ظل يحلم بزيارته مرة اخرى قبل أن يودعنا إلى دار البقاء للأبد.

ظل الراحل مُلازمًا مكانه في الكنيسة يطل على العالم الخارجي بين الحين والآخر من خلال زيارات الاصدقاء وبعض الباحثين الذين يزورونه بين الحين والآخر للحصول على استشارة او مصدر، بعدها اضحى يمشي بصعوبة بالغة وبالإتكاء على عصا صارت سنده وعزاءه. وعندما كنت اتحدث معه هاتفيًا كان يقول:" عيني ختيرنة.... بس بعد عدنة شوية حيل للكتابة والترجمة والبحث.... الشغل ما يخلص بس العمر يخلص".

بعد أن " خلص العمر " ومات أبي الروحي الأب د. بُطرس حدّاد وأنطفأت شمعة حياته قبل اوانها. ووفاءًا مني لهذا الرجل الجليل الذي بصم بصمة خالدة في حياتي ، حبرت هذه الصفحات في الذكرى الأولى لرحيله إلى دار البقاء، وهذه هي خصال العظماء، إذ وحده العظيم الذي بمقدوره أن يترك خلفه اثرًا ويبصم بصمته في الحياة ، وبقدر حجم وعمق هذا الأثر، بقدر ذلك سيكون حجم خلوده في هذا الوجود العظيم .... وما هذه الكلمة ألا شيء من عمق الأثر الذي تركه فيَّ الأب حدّاد الذي لي الشرف بأن يقول عني" .... يُعد

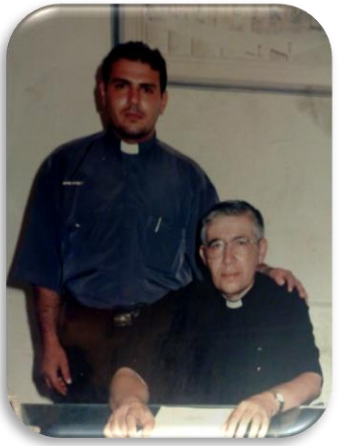

الأب يوسف جزراوي من أهم تلاميذي وأقربهم إلى نفسي ....له مستقبل زاهر".
إنها شهادة كبيرة من مؤرخ عظيم!
كما كان لي الشرف والفخر بأن الراحل الكبير كان قد قام بالمراجعة اللغوية لبعض مؤلفاتي الفكرية ووضع أسمه الرصين على بعض مؤلفاتي التاريخية بعد أن وجهني وفق منهجية رصينة.
كان أبي وأستاذي ومرشدي وصديقي. لقد تعلمتُ منه الكثير والكثير والكثير ولا زلت أتعلم.

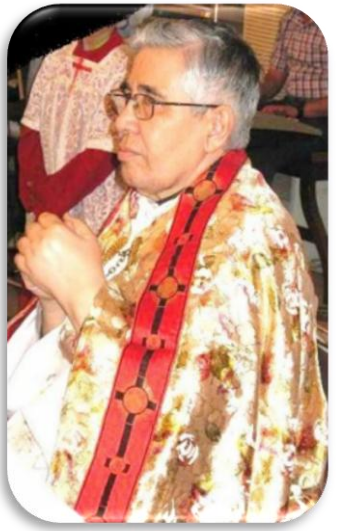

رحمه الله وأسكنه في ملكوته البهي.

نفعنا الله بصلاته.

اللاهوتي العلاّمة الأب د. يوسف حَبّي

لستُ من مُحبي البكاء على الأطلال بل يطيب لي اليوم في هذا الكتاب أن أوفي حق رجل كان شمعة تشتعل وتتوهج في سبيل كنيسته وشعبه ووطنه وتلاميذه بمناسبة الذكرى الحادية عشر على رحيله لدار البقاء، فالوفاء ميزة من ميزات الأحرار .... عسى أن أفي العلاّمة الخالد بعض حقه! فهو صاحب فضل في مسيرتي الإنسانية والثقافية والكهنوتية، أنه أول من شجعني على الكتابة والتأليف وكان خير مرشد لي، وأول مؤلفاتي كان من مراجعته وأشرافه.

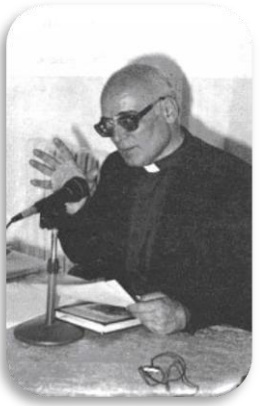

فاروق داود حَبّي في سطور

ولد فاروق بن داؤد يوسف في مدينة الموصل الحدباء في 23 كانون الأول من عام 1938، أقتبل سرّ العماذ في كنيسة مار أشعيا بتاريخ 9 شباط 1939. درس الأبتدائية في مدرسة الطائفة الكدانية وتحديدًا في كنيسة مار يوسف في حي القلعة بالموصل حتى الصف الثالث، ثم إنتقل إلى مدرسة الطاهرة.

سنة 1950 دخل المعهد الكهنوتي البطريركي وكان وقتذاك في الموصل، فكان مُنكبًا على الدراسة ومولعًا بالأدب العربي، ومنذ ذلك الوقت وبحسب شهادة الأب حدّاد بدأ في الكتابة ونظم الشعر. ونظرًا لذكائه وتفوقه على أصدقائه، رشحته إدارة المعهد مع زميله(ناظم ميخائيل) المؤرخ العلاّمة الأب بطرس حدّاد لإكمال الدراسة في الكلية الأوربانية في روما،

فسافرا صيف 1954، وهناك وجد الإكليركي فاروق المجال واسعًا لنهل العلوم والمعارف وتعلم اللغات.
رسم كاهنًا في 20 كانون الأول 1961، وحصل على الليسانس في الفلسفة واللاهوت، ثم حصل على شهادة الدكتورة في القانون الكنسي من جامعة اللاتران عام 1966. له دبلوم في وسائل الأعلام من جامعة بروديو عام 1962. ودبلوم في الاجتماعيات من معهد جيسك عام 1966.

عاد إلى مسقط رأسه، فخدم في دار المطرانية، وكنيسة مسكنة والطاهرة، ثم عُيّن للخدمة في كنيسة مار أفرام في الموصل الجديدة. ثم خدم في دهوك سنتين،ثم عاد إلى الموصل وكان مثمرًا في كل الرعايا التي خدم بها.

ولما أعتلى الكرسي البطريركي بطريركنا الطيب الذكر ومجدد الكنيسة الكلدانية مار روفائيل الأول بيداويد سنة 1989، طلبه للخدمة في الأبرشية البطريركية، وكان البطريرك صائبًا وموفقًا فيما فعل، فالمثقف لا يجلب إلا المثقفين، والحكمة تقول:" قل لي من هم العاملون معك أقول لك من أنت".
قدم الأب حَبّي إلى بغداد سنة 1990، فأدار كنيسة القلب الأقدس في الصليخ منذ مُنتصف عام 1990 إلى عام 1993، وهو من أبدل تسميتها إلى كنيسة الحكمة الإلهية، وبدوري أرى أن التسمية الجديدة غريبة عن مُحيطنا الكنسي، فمعظم كنائسنا لها شفيع تحتفل بذكراه سنويًا، إلاّ هذه الكنيسة. مجرد رأي. ولعل الأب

حبّي أشتق التسمية من جامعة الحكمة التي كانت تعود للأباء اليسوعيين تخليدًا لذكراهم. والله أعلم[8].
وفي سنة 1990 أفتتح غبطة البطريرك مار روفائيل بيداويد كلية بابل للفلسفة واللأهوت وأُنيطت إدارتها إلى الأب حَبّي، الذي بذل جهودًا جبارة من أجل تقدمها وديمومتها. وكان يُدرس فيها 23 مادة متنوعة، الفلسفة على تنوعها: الأخلاق، الإعلام، اللاهوت على تنوعه، القانون الكنسي، مُقدمات فلسفية ولاهوتية، علم الإجتماع....

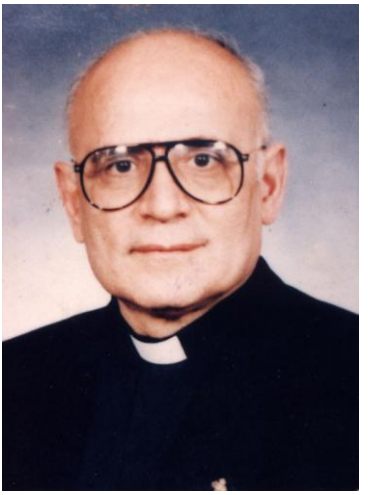

كان عضوًا في مجمع اللغة السريانية ولما أصبح هيئة مدمجة مع المجمع العلمي العراقي، صار عضوًا في المجمع العلمي العراقي.
كما أسند غبطته إليه مُهمة النيابة البطريركية للشؤون الثقافية، ونظرًا لتخصصه في القانون الكنسي فقد مارس هذه الخدمة في المحاكم الكنسية، أكان في الموصل أم في بغداد.
وهو أحد مؤسسي مجلة بين النهرين ورئيس تحريرها منذ عام 1972 إلى حين وفاته. كما كان أحد أركان هيئة تحرير مجلة نجم المشرق البطريركية، وحبر مقالات رصينة في مجلة الفكر المسيحي، ومجلة مجمع اللغة السريانية، مجلة المجمع العلمي العراقي، أفاق عربية، المورد، المشرق البيروتية، مجلة الرسالة

[8] أنظر يوسف جزراوي(الأب): كنيسة الحكمة الإلهية بين الأمس واليوم، بغداد 2006، ص12.

البيروتية، مجلة البايروسكولوجي التي كان يرأس تحريرها صديقه الأستاذ الراحل د. الحارث عبد الحميد. مجلة الحكمة التي اصدرتها كلية بابل.
نشر مئات المقالات والبحوث الرصينة وبعدة لغات، وله ما يزيد عن 30 مؤلفًا بين تراجم وتحقيق وتأليف، واهمها مجامع كنيسة المشرق الذي نشرته جامعة الروح القدس في بيروت.

جاء في وصيته التي حررها في بغداد 1997/7/7
".... حق وحبّ وحياة، شعار حياتي، املي أن يكون شعار الناس أجمعين.
أحببت الإنسان في كل مكان وكل حين.
أحببت بلدي، كنيسة المشرق العزيزة.
أحببت أهلي وأقربائي، وأعتبرت الأصدقاء، بل كل الناس أهلي وأقاربي.
أحببت كهنوتي وعملي والثقافة...."[9].
كان باحثًا دؤبًا ومفكرًا قل نظيره ولاهوتيًا مُتبحرًا، خطيبًا لبقًا، يستخدم لغة سلسة خالية من التعقيد والتركيب. وضع في مؤلفاته عصاره أفكاره وخلاصة أبحاثه وسهره ودراسته رغم ضعف بصره شبه المُعدم. وآخر مقال دبّجتها أنامله كانت بعنوان **"يوبيل على العالم"** في مجلة نجم المشرق البطريركية سنة 2000،

[9] سبق وأن كان الأب حدّاد قد أطلعني على نص وصيته، ثم نشر مقتطفات منها في مجلة نجم المشرق سنة 2000 بعنوان الأب حَبّي وداعًا. وكان قد خصص جزءًا من أمواله لطباعة مؤلفاته. ولكن كم من المشاكل حصلت بسبب التركة والأرث، حتى طرقت أبواب القضاء العراقي.

وسلمه لإدارة المجلة عشيّة سفره إلى لبنان عن طريق عمان وذلك مساء يوم السبت الموافق 2000/10/14، وبعدها أستقلّ المركبة لأننا كنا في زمن الحصار، وبعد عدة ساعات تعرض لحادث مؤسف أودى بحياته قبل وصوله مدينة عمان..
إنتقل إلى دار البقاء إثر حادث طريق مروّع في السيارة التي كانت تقله من بغداد إلى عمان في 15 تشرين الأول 2000، فأهتز العراق، حكومة وشعبًا، وكنيسة لنبأ وفاته، وعم الوجوم والحزن حياة كل من عرفه من قريب أو من بعيد. وأقيمت له مراسيم جنازة من قبل الحكومة تليق بمفكر أغنى البلد والكنيسة والحياة من مواهبه وأفكاره وأبحاثه. رحمه الله

شغل مناصب عديدة وهي:

عمل سكرتيرًا لمطرانية الكلدان في الموصل للفترة 1966-1980م ومُحاضرًاً للفترة 1975-1981 في جامعة الموصل، وأستاذًا في المعهد الشرقي في روما منذ 1981 لحين وفاته. عميد كلية بابل للفلسفة واللاهوت والمعهد التثقيفي منذ عام 1991، ورئيس لجنة التثقيف والأعلام في المؤتمر الكلداني الأول في العراق سنة 1995، أحد مؤسسي مجلة بين النهرين وقد شغل منصب رئيس تحريرها لمدة 27 سنة.

كان عضوًاً في المؤسسات التالية: مجمع اللغة السريانية ورئيسه عام 1996، مجمع القانون الشرقي منذ عام 1975، جمعية التراث المسيحي والدراسات السريانية منذ عام 1984، المجمع العلمي العراقي، الجمعية الدولية لتاريخ الطب في باريس منذ عام 1982، اتحاد الكتاب والأدباء العراقي والعربي، جمعية الفلسفة العراقية واتحاد المؤرخين العرب، نقابة الصحفيين العراقيين .

كان للأب حبي دور بارز في إقامة مهرجان مار افرام واسحاق بن حنين سنة 1972، كما أقام مهرجان نوهدرا في دهوك للمرة الأولى، مؤتمر وجه الله الذي اقامته كلية بابل بالتعاون مع المعهد

الكهنوتي للفترة من 3-7 ايار 2000 وقد ادركت هذه الفترة. كما له مشاركات كثيرة في مؤتمرات عالمية مختلفة .
كان رحمه الله يجيد سبعة لغات:هي العربية والسريانية والفرنسية والإيطالية والإنكليزية والألمانية واللاتينية.

- **المؤلفات**

له مؤلفات عديدة وكتب مُترجمة من أكثر من لغة، وهي:
الدير الأعلى وكنيسة الطاهرة.
حنين بن اسحق 1974.
دير الربان هرمز 1977
دير مار كوركيس، بغداد 1977
دير مار ميخائيل رفيق الملائكة ،
علم آثار بلاد الرافدين . .
طريق الفرح (ترجمة)، الموصل 1970
الإنسان في أدب وادي الرافدين، بغداد 1980
تاريخ ايليا برشينايا (تحقيق) 1975
كنائس الموصل، بغداد 1980
"فهرس المؤلفين لعبديشوع الصوباوي (تحقيق)، 1986،
تواريخ السريانية (تحقيق)، 1983،
رحلة اوليفييه إلى العراق (ترجمة)، بغداد 1984،
نيران الشعر، بغداد 1985،

"دراسات إنجيلية (ترجمة9)، بغداد 1988،
"كنيسة المشرق، الجزء الأول، بغداد 1989"،
الشموع الأولى
"نشوة القمم (خواطر)، بغداد 1996"،
"خلجات (خوطر)، بغداد 1996"،
"جوامع حنين بن اسحق في الآثار العلوية لارسطو، بغداد 1976"، **تاريخ أيليا برشينايا ، كنيسة المشرق ـ الجزء الأول (وأكمل الجزء الثاني من هذا الكتاب وأعده للطبع قبل رحيله) ، تواريخ سريانية علوم البابليين ، كنيسة الطاهرة** "مجامع كنيسة المشرق، بيروت 1999"،
هذا بالإضافة إلى أكثر من مائتي موضوع منشور في مجلات محلية وعربية وعالمية وخاصة في مجلات (نجم المشرق وبين النهرين والفكر المسيحي).

شهادة مجروحة:

الأب حَبّي أشهر من نار على علم، مُفكر عراقي لامع ، يعرفه القاصي والداني ...كان يؤمن بالحبّ لأن الله محبة ولأنه محبة قام برحلة حبّ خارج ذاته بشخص يسوع المسيح فيموت حبًا على الصليب من اجل الانسان. وهكذا كان الأب حبّي شاهدًا على حبّ من مات حبًا لأجلنا.
كان يؤمن بأهمية الإختلاف والتعددية، فتعلمت منه أن الإختلاف لا يعني خلافًا وتصادمًا ؛ بل غنى وتكاملاً وبنيانًا!
كان يؤمن بالإنسان، فعاش حياته كشمعة تشتعل وتتوهج لكي تُنير درب الإنسانية. كان

مؤمنًا بالعمل الجماعي، فأسس كوادر عمل خورنية، وجمع حوله المُثقفين والمُبدعين، فعملوا معًا كخلايا نحل بلا ملل وبلا كلل! كان يحسب ألف حساب لكرامة الإنسان وقيمته الإنسانية.

كان إنسانيًا للغاية وكان يوصينا دائمًا:" يا كهنة المستقبل لا تنسوا أنكم ناس، قبل أن تكونوا كهنة، عيشوا انسانيتكم مثلما عاشها كاهننا الأمثل يسوع الانسان"! فعاش إنسانيته دون أي تمثيل وتصنع، لم يُمثل أدوار القداسة كما يحصل اليوم، بل عُرف عنه بعمق حسه الانساني العالي!

كان يؤمن بالثقافة والمواصلة والمواكبة والتجدد، فكان يكرر على مسامعنا " واحدكم ما أن يصبح كاهنًا حتّى يترك الكتب ويهمل الثقافة لينغمس بالعمل الخورني ....فيجتر ما تعلمه إلى أن يتحول الى بركة راكدة! تعلموا أن تتواصلوا ثقافيًا".

كان يؤمن بدور العلمانيين في الكنيسة، فنرى معظم أصدقائه والعاملين معه كانوا من العلمانيين، ومنهم كُتّاب وأدباء وفنانون وفلاسفة ... وهو أول من نادى وعمل على تأسيس المجلس الخورني في بغداد.

كان أشبه بالمكتبة المتكاملة، مُحبًا للثقافة والتعلم، فبرز على الساحة الدينية والثقافية والفكرية.. كان مرجعًا ثقافيًا للكثير من علماء العر اق في المجمع العلمي العراقي وبيت الحكمة العراقي، وكان الكثير من العلماء يتمنون أن يضع لهم الأب حَبّي مُقدمة لكتبهم وأبحاثهم لكي تأخذ صداها لما كان يتمتع به الأب الفقيد من صيت ومكانة وثقل ثقافي وعلمي بين مثقفي العراق والوطن العربي. وليس من قبيل المغالاة أن قلت: من أجل عيون د. حَبّي كرس الكثير من أعضاء المجمع العلمي العراقي وكبار الاساتذة والفلاسفة في جامعات بغداد وقتهم للتدريس والقاء المحاضرات

في كلّية بابل الحبرية للفلسفة واللاهوت التي تأسست وقامت بجهوده الجبارة، ومن هؤلاء الأستاذة فاتن حمدي وسهيلة جواد وصديقنا الأستاذ فلاح، والدكتور محمد الصندوق، و صديقنا وأستاذنا الدكتور فيصل غازي، وأستاذنا الراحل الحارث عبد الحميد والأسماء لا تحصى، وكان لنا الشرف أن نتتلمذ على يد خيرة استاذة العراق.

كان يؤمن بتسمية (كنيسة المشرق) أو كنيسة العراق، كان من المنادين بالوحدة الكنسية، يا ليتك كنت اليوم حاضرًا لبكيت دمًا على تناحرنا وتمزقنا الذي أضعف قوانا وجعلنا اقلية ضعيفة ومتمزقة....

يا ليتك كنت موجودًا اليوم معنا ..... لكنت قلت معي ومع الكثيرين من أبناء شعبنا المسيحي أن خلاصنا بيسوع وليس بقومياتنا وأحزابنا وجمعياتنا ....!!فعملت على الوحدة الكنسية ووحدة التسمية المسيحية لمسيحي العراق، فقليلون هم الذين يدعون الى الوحدة والإئتلاف!!

أتذكرك جيدًا في صومعتك في كلّية بابل، وأتحير في وصف تلك الصومعة. أهي متحف؟ أم مكتبة متكاملة؟ أتذكرك رغم ضعف نظرك كنت تُطالع أخر الأبحاث والدراسات والأصدرات. وكنت تقول لي ولغيري من الطلبة :" طالعوا إلى أن (تنعمي) عيونكم، ولا تكونوا من أصحاب الادمغة المتحجرة والكروش العالية...".

وما أكثرهم اليوم!!

كان مُنفتحًا على الكل مُحبًا للجميع، ساعيًا للحوار وتقبّل الآخرين على إختلافهم.

كنتُ أراه ملاكًا يعتلي المذبح سواء في مصلى الكلية أو في كنيسة ما كوركيس، فيصوغ من خبراته ومعارفه وروحيته أجمل الحكم والمواعظ بمفرادات سلسة تجد تقبلاً وإستحسانًا.
كان رجل صلاة ، فعكس لنا خلال كتاباته ومحاضراته ومواعظه وجه الله المُحب للإنسان....
رغم كل مناصبه ومكانته الثقافية والاجتماعية والكنسية، كان يُعرف عنه بالتواضع ويشهد له بذلك، وما أجمل تواضع العظماء!!

ذكرياتي مع الأب حَبّي

كنتُ في المرحلة الثانية من الفلسفة، قدمت بأشراف الأب حبّي بحثًا عن هجرة المسيحيين من العراق، من خلال أستقتاء عملته وعمله لي الأب الفقيد في كنيسة مار كوركيس، فكان مُعجبًا به ونصحني بنشره بعد أن نقحه لغويًا، ونشرته بمساعدة الأب(المطران) ساكو.
وقال لي الأب حَبّي: "ستقدمه لمرحلتك كمحاضرة بعد عودتي من السفر، إن عدتُ"! وكأن قلبه كان يعلم أنه سيذهب ولن يعود!!
وقبل سفره كنا في محاضرة بمادة (فلسفة الاخلاق) وكان يحاضرنا من كتابه نشوة القمم، وما أروعه من كتاب! وقبل أن يهم بمغادرة قاعة المُحاضرة، حدثنا قائلاً:" البارحة أتصل بي الكثيرون من الناس والكهنة والأصدقاء من داخل العراق وخارجه، وقالوا لي: "أبونا أنت ما متت! يقولون أبونا حَبّي مات". فضحك رحمه الله ببراءة كعادته، وقال:" أمنيتهم يشوفوني ميت.. وأضاف فقيدنا الراحل: حَبّي ما يموت ". وضحك رحمه الله خاتمًا حديثه بكلمة "أحبكم" ورحل الأب حَبّي الى الأبد!
قبل أحداث 2003 ذهبتُ بمعية أُستاذي القدير د. فيصل غازي مجهول وهو تلميذ الأب حَبّي والأب روبير الكرملي رحمهما الله، إلى بيت الحكمة العراقي بالقرب من منطقة الميدان ببغداد، فما أن

عرفوا أنني من تلاميذ د. حَبّي، حتّى قدمت لي كل التسهيلات وأهدوني أخر الأصدرات من الكتب الفلسفية، وقالوا لي : كلها من أجل عيون د. حَبّي! كَم كان عظيمًا هذا الرجل، وله أثار وبصمات رصينة في نفوس الآخرين، وتحديدًا على بيت الحكمة العراقي والمجمع العلمي.

أتذكر في مطلع عام 2006 دعاني أستاذي الراحل الحارث عبد الحميد لالقاء مُحاضرة في قاعة إتحاد وأدباء العراق في شارع الاندلس في بغداد والذي كنت أحد أعضائه، فقدمني رحمه الله هكذا: "إنه الأب يوسف جزراوي تلميذ الأب حبّي"، فشهدت القاعة موجة تصفيق عارمة! تفاجأت، دهشتُ!! فوقف أحدهم وقال: "عذرًا .... هذا ليس لك وحدك، بل للفقيد د. يوسف حَبّي"! ثم وقفنا دقيقة صمت على روحه الطاهرة، إذ كان له الأثر الطيب في كل مكان..

في مؤتمر وجه الله قال أحد الحاضرين من المجمع العلمي العراقي كلمة بحق الأب حبّي واصفًا آياه " الفيلسوف الكبير والنجم الساطع في سماء العراق". ووصفه الشيخ جلال الحنفي شيخ جامع الخلفاء وقتذاك: "الفيلسوف العراقي العلاّمة، إنه همزة وصل بين الأديان والحضارات والبلدان ...انه كنز من كنوز العراق .... بل نعمة العلي للعراقيين".

كم كنا نتلذذ بمحاضراته العميقة وكتاباته المُمتعة التي تخاطب الواقع وتبني سامعها وتفتح له افاق واسعة. أُختير ضمن 6 علماء في العراق، لترجمة كتاب نشوء الحضارات. كم كان ولا يزال عظيمًا.

أتذكر في مؤتمر الكنيسة من أجل السلام في فندق بابل في آيار سنة 2000 عندما تحدث المذيع القدير شمعون متي

قائلا: الأخوة الحضور (العراقيون) أرجو الخروج خارج القاعة لاتاحة المجال للوفود والضيوف المشاركة بالجلوس. واستطرد بعدها قائلاً: والآن كلمة الكنيسة الكلدانية يلقيها عليكم الأب د. يوسف حَبّي المُحترم ليتفضل ".
فأنتصب الأب حَبّي وقال: " لا حد يخرج ويترك القاعة .... العراقيون ليسوا مسحوتين". وقالها بانفعال، وأضاف رحمه الله:" كلمتي هذه لا تمثل الكنيسة الكلدانية وحسب، بل كنيسة العراق، لا بل شعب العراق باجمعه". كان يؤمن بكنيسة واحدة وايس بكنيسة موحدة.

بعد رحيلك لدار الخُلد، وللأسف، أطلق عليك بعض الضعفاء إشاعات لتشويه أسمك العريق بعد أن فشلوا في حياكة المؤامرات لك في حياتك، فالذين صلبوا يسوع ظنوا أنهم بموته سيمحون اثاره، فأنقلب الصليب من لعنة إلى بركة، وهكذا أنت، سطع نجمك أكثر مما كنت على قيد الحياة.
لم تكن من أصحاب الأموال في البنوك، ولم تكن مُتمسكًا بالمناصب والكرسي كما يحصل اليوم! ولم تبحث عن السلطة للتسلط بل للتغيير والتجديد وفتح النوافذ لنستنشق من الهواء نقيه، لم تكن من حائكي المؤامرات، لم تكن مُتزلفًا مُجاملا بائعًا لضميرك من أجل مناصب أو أمتيازات وأموال.. بل حملت الكنيسة همًا في داخلك، وكان خير الكنيسة وتقدمها قضيتك الكبرى.
عرفتك طيب القلب حلو اللسان سريع البديهة، انسانيًا للغاية، مُتفهمًا للآخرين، تتقن فن التعامل مع الآخر على تنوعه وإختلافه. تؤمن بالتنوع والتعددية والإختلاف. مثقفًا عالمًا، باحثًا، فيلسوفًا لاهوتيًا مواكبًا متجددًا شابًا في اواخر الخمسين، صاحب طلة خفيفة وإبتسامة صادقة ونكتة ذات معنى، طيب، خدوم، أب بكل معنى الكلمة،مُشجعًا لكلّ عمل فيه بصيص خير وفائدة وإبداع. أجمل ما قرأته لك" خلجات، نشوة القمم، ملحمة كلكامش

(نصوص وتفاسير- كنيسة المشرق، الشموع الأولى، عبد الله بن الطيب، نيران، افتتاحية عمى الألوان في مجلة بين النهرين، مقال الإنسان، الهجرة نعمة أم نقمة؟ يوبيل على العالم".

كم كنت أتمنى أن تقوم كنيستي بوضع كتاب خاص عنك. كم كنت أتمنى أن أرى لك تمثالاً في كليتك؛ كلية بابل التي بذلت الغالي والنفيس لأجلها، وفي عهدك أصبحت كلية حبرية وأنضمت إلى جامعة بروبغندا سنة 1998. كم كنت أتمنى أن يكتب عنك بأقلام من داخل أروقة الكنيسة، ما خلا ما كتبه عنك صديقك الراحل العلامة الأب بطرس حدّاد زميل دراستك، والأب منصور المُخلصي بحسب ما سمعته يقول يومًا، وما كتبه عنك كاتب هذه السطور والأب سعد سيروب وتلميذك الأستاذ د. فيصل غازي مجهول.

مهما حاول ويحاول البعض من مسخ أسمك العريق ومنجزاتك التي لا تحصى، ستبقى خالدًا في قلب كل من عرفك ومن عاشرك وتتلمذ على يديك ..... وما زال صوتك يجلجل في قاعات كلية بابل وفي آذان كل حرّ وشريف وذي مبدأ، ولا تزال كتاباتك وأبحاثك تتلاقفها الأجيال، ولا تزال تعاليمك زادًا لحياتنا الانسانية وخدمتنا الكهنوتية. ما زال شعبك في كل رعية خدمت فيها يتذكرك ولاسّيما في الموصل وفي كنيسة الحكمة الإلهية ببغداد، وكنيسة ما كوركيس الكلدانية وتلاميذك في كلية بابل والمعهد التثقيف المسيحي في جامعة الموصل وكلية الأداب العراقية وجامعة الكسليك بلبنان وجامعة بروبغندا والمعهد الشرقي بروما.

في يوم تشييعك قدم الناس من مختلف المحافظات، بل من أكثر من بلد، وأرسلت برقيات تأبين من مختلف أرجاء المعمورة، ومن رؤساء دول وكنائس وشخصيات علمية وأدبية وثقافية وسياسية وفنية.. وكأنني أمام تشييع بابا الفاتيكان !!

ولا تزال عالقة في ذهني كلمة التأبين التي ألقاها بطريركنا الخالد والطيب الذكر مار روفائيل الأول بيداويد الذي كان بطريركًا

أبويًا بكل ما تحتويه الكلمة من معنى ، إذ قال رحمه الله:" الأب يفرح عندما يكون أبنه أفضل منه، والأب حَبّي أفضل مني بكثير".
كم كنا نتمنى أن يكون هذا البطريرك العملاق بكل معنى الكلمة بين صفوفنا اليوم لكان حالنا أفضل بكثير وكثير مما نحن عليه الآن، ولكن لتكن مشيئة الرب.
لقد رحل المآسوف عليه أشد الأسف الأب حَبّي قبل أوانه وهو في أوج عطائه، لاسيّما بعد أن تحسن نظره، لعلَّ ربّنا دعاه ليتمتع برؤية ملكوته البهي!
وتيمنًا بالأب يوسف حَبّي أبدلت أسمي إلى يوسف، آملا أن أُقدم شيئًا يسيرًا مما قدمه هو، فحسنًا للتلميذ أن يكون مثل معلمه، ولكن "العين لا تعلو على الحاجب" كما نقول في أمثالنا العراقية الدارجة.

أبونا "حُبي" كما كان يطيب لي أن أسميك ويسميك تلاميذك، إسمح لي أن أقول لك اليوم وأنت تنظر ألينا من السماء: هذه هي الذكرى الحادية عشر لرحيلك المؤلم ولا يزال الفراغ الذي تركته برحيلك المفاجيء شاغرًا!!

سيبقى تاريخ 10/15 من كل عام تاريخًا يشهد لك فيه الكثير.

أبتي.. إنك بحق شمس لا تعرف الغروب.

عمو بابا أسطورة الكرة العراقية

عمانويل داود المعروف بـ عمو بابا/ أبو سامي. أبصر النور في مدينة الحبانية بتاريخ27 نوفمبر 1934 وتوفي في دهوك بتاريخ 27 مايو 2009. بدا حياته الرياضية بعيدًا عن كرة القدم، فكان بطل العراق في 400 موانع (ألعاب قوى)، وبطل الرصافة بكرة المضرب. في عام 1950، وأثناء بطولة مدارس العراق في ملعب الكشافة، شاهد المدرب والمعلق العراقي إسماعيل محمد، الصبي عمانوئيل وهو يلعب ضمن صفوف فريق مدرسة الحبانية الابتدائية لـ(محافظة الأنبار) بكرة القدم، فأستدعاه ليسأله عن اسمه فقال: عمانؤيل! وبحسب العادة الإنكليزية في إطلاق أسماء مُختصرة، أطلق إسماعيل محمد، اسم عمو بابا على الصبي عمانوئيل وتوقع له مُستقبلاً زاهرًا وفاخرًا.

وهكذا بدأت رحلة عمو بابا مع النجومية والشهرة والإبداع لاعبًا ومدربًا وخبيرًا كرويًا، فذاع صيته في العراق ودول الخليج والوطن العربي، بل باتت شهرته عالمية. لقب بشيخ المدربين، ساحر الكرة، ثعلب الملاعب، أسطورة الكرة العراقية، مُدرب القرن.

قاد العراق إلى نهائيات الاولمبياد 3 مرات اعوام 80 و84 و88 في موسكو ولوس انجليس وسيؤل، وإلى أحراز كأس العرب وذهبية دورة الالعاب الآسيوية والكثير من البطولات والالقاب الاخرى على صعيد الاندية والمنتخبات.

عانى من هجرة عائلته، عانى من الوحدة، وعدم تقدير والتهميش من قبل اللجنة الاولمبية منذ مطلع التسعينات والتدخل في شؤنه كمدرب قدير ومحترف، وهكذا فعل الإتحاد العراقي لكرة القدم بعد 2003. لقد كرس حياته لخدمة الكرة العراقية، ولم يلقى أي إهتمام يذكر، بل كان يتسول تكاليف العلاج ويستعطي النقود من أجل بحبوحة عيش. مات وهو يحلم بدولة تقدر منجزاته

الرياضية، واليوم تسعى الحكومة العراقية وإتحادها الرياضي لبناء ضريح ومتحف لأسطورة الكرة العراقية عمو بابا على شكل خيمة يضم كل صوره والميداليات والجوائز التي حصدها.
كان من الاجدر بهم الإهتمام به في حياته. عاش حزينًا ومات وهو يحلم بدولة تقدر مُنجزاته وعطاء نصف قرن لبلده ومؤسساته الرياضية.

لم ينظر اليه المسؤولون في العراق القديم والجديد بعين الرعاية بعد ان اقعده المرض واضطر الاطباء لبتر اصابع قدميه في أحد مُستشفيات الاردن مُتأثرًا من تفاقم مرض السكري. لقد قضى ثعلب الكرة العراقية وعميد المدربين الخليجين 58 عامًا من عمره في خدمة كرة القدم العراقية دون اجر!! وفي مرضه كان يتسول العلاج والإهتمام والعناية، بعد أن ادار له الجميع ظهرهم.
إن الأطباء اضطروا إلى بتر اربعة اصابع من قدمه اليمنى وثلاثة من قدمه اليسرى، وضمدت عظامه التي خارت من اثار تفاقم مرض السكرى وأمراض أخرى اقعدته لمدة 6 اشهر في أحد مستشفيات الاردن.

كان يشعر بالاستياء من مسؤولي الرياضة في بلاده ولم يكلف احد نفسه عناء الزيارة أو حتّى الأتصال التليفوني أو دعمه ماديًا أو أرساله للعلاج إلى أمريكا أو أوربا . هكذا تعودنا على تهميش مُبدعينا في حياتهم ومُجازاتهم على عطائهم!

كان غالبًا ما يدرب منتخب العراق بدون أجر، بعد سقوط النظام العراقي في 9 آذار 2003 دمر منزله وتعرض للسرقة . . وبعد أن شاهد البنية التحتية للرياضة العراقية تضرب وتدمر وجّه نظره وجهده لفتح مدرسة للموهوبين من الصغار، لانه كان لا يرى بأن هناك أملاً في منتخبات العراق الكروية لتحقيق إنجاز، وهؤلاء الصغار أصبح لهم مستقبل وبدأو يرفدون الأندية.

رفض عروضًا خليجية وعربية مُغرية كانت ستجعله مليونيرًا، من أجل منتخب العراق! وبعد كل هذه السنين لم يجد أبسط حقوقه في العلاج والعيش بشكل كريم، لقد وجّه كلمات استغاثة فوجد الاجابة من الأمير سلطان بن فهد رئيس الاتحاد العربي والسعودي لكرة القدم وبعض شيوخ العرب للتكفل بعلاجي، وقد ازعج ذلك الحكومة العراقية الجديدة، وكان ذلك يُسيء إلى سمعتهم..

كما مد له يد العون فخامة الرئيس جلال الطلباني بمبلغ 28 الف دولار امريكي وهي تكاليف علاجه لمدة شهر!! واستمر بالإستغاثة ولا من مجيب من المسؤولين!!

حصل على لقب مُدرب القرن، لكنه لم يفرح به. وتحدث في التلفزيون والصحافة بلوعة قلب قائلاً: "ماذا فعلت بلقب مدرب القرن في العراق .. لستُ مليونيرًا، ويعلم الجميع انني عملت من دون اجر ولم اكن املك حتّى سيارة للتنقل، لكني سأظل وفيًا وسأكمل مسيرة بناء جيل جديد حتّى وأنا مُقعد وغير قادر على التحرك".

هكذا عاش الرجل رحلة الألم والتهميش إلى أن أنتهت رحلته معاناته من الإهمال ومعاناته مع المرض حينما لفظ أنفاسه الأخيرة في إحدى مُستشفيات دهوك.

لحظة وفاة أسطورة الكرة العراقية عمو بابا

إنتشر نبأ وفاته أسرع من البرق وخيم الحزن على العراق والرياضين. أجريت له مراسيم تشيع رسمية من قبل الحكومة العراقية! والحكومة والمسؤلين الرياضيين كانوا يشاهدون شمعة حياته تنطفى أمام أنظارهم وهم لا يحركون ساكنًا!! هكذا نحن لا نُقيم مُبدعينا ألا حين نخسرهم.

بعد رحيله لدار البقاء، بدأت تغنى له الأغاني الرياضية(أولاد عمو بابا)، وأخذ الشعراء ينظمون له قصائد الرثاء، وبدأت الصحف تسترجع ماثره، وراحت الحكومة العراقية الحالية تُفكر

في كيفية إقامة نصب تذكاري له يليق به، وتمت الموافقة على الإقتراح بتسمية خلييجي 21 التي ستقام في محافظة البصرة العراقية باسم خليجي عمو بابا!!

سؤالي: لو كان عمو بابا على قيد الحياة، أ كانت خليجي 21 ستحمل أسمه؟

عمو بابا في إحدى السفرات العائلية لكنيسة القديسة تريزا في دمشق2007 /6/29

لقد خلّده التاريخ برحلة مُضيئة أهدى العراق خلالها عشرات الألقاب والكؤوس في المحافل العربية والدولية، نم قرير العين فأنت حبيب العراق والعراقيين.

الأب جزراوي مع الكابتن سعدي توما في كنيسة القديسة تريزا للكدان دمشق 2007، ألتقطت الصورة بيد فقيد العراق عمو بابا.

في دمشق العاصمة السورية ألتقيت الفقيد عمو بابا مرات عديدة وجمعتني معه لقاءات شخصية وجماعية بصحبة شخصيات من جملتهم المُدرب القدير الكابتن سعدي توما. وذات اليوم همس عمو بابا في أذني قائلاً:" سألتني يومًا يا "أبونا" عن الحزن البارز في عيناي،فأجيبك: لأنهم لم ينصفوني كلاعب ومدرب وخبير كروي. هزمت أفضل مدربي العالم! وأكثر من مُدرب عالمي أبعد من تدريب المنتخبات الخليجية أو قدم استقالته، لأنه خسر أمامي! لقد حصدت لهم أثمن اللقاب،ولكن ما الفائدة؟! فعمو اليوم يعاني المرض الذي هو لاعب ماهر ولأبد من يوم سيغلبني وينقذ عليّ. يا ولدي لو سألت الشعب العراقي من صغيره إلى كبيره: هل تحبون عمو بابا؟ سيقولون لك في الحال. نعم".

وأضاف رحمه الله:"الأب يوسف، لقد سعدت بمعرفتك، أود أن أقول لك سرًا، أذكره للتاريخ عن لساني متى شاء الله أن ياخذ أمانته: عمو بابا الإنسان والرياضي، شخصية أتفق على محبتها الشعب العراقي باكمله.... هذا هو أغلى وسام وميدالية حصدتها خلال مسيرتي الرياضية الطويلة والمؤلمة".

وللأمانة أنشر هذه الكلمات التي سرها لي الراحل الكبير عمو بابا وهذا غيض من فيض.

رحمه الله وأسكنه في ملكوته البهي. أذكروه بصلاتكم.

هنري ولسن

اديب أُسترالي، عُد أب الكلاسيكية في أُستراليا، وهو أول من ترجم أحاسيس ومُعاناة الأُستراليين قصصًا ومقالات وقصائد.
أبصر النور في Grenfell (نيو ساوث ويلز) عام 1867 من أب نرويجي يُدعى بيتر، ومن أُمّ أُسترالية تُدعى لويزا البوري.
عانى ولسن منذ حداثة سنه من الخيبات والمصاعب، أولها الضائقة الأقتصادية ثم أصابته بالصمم وإنفصال والديه وأضطراره للإنقطاع عن الدراسة في سن مبُكرة ليعمل مع والده دهانًا في ورش البناء.
بدأ ولسن مسيرته الأدبية عام 1887 إثر ظهور أول نص له في مجلة الجمهورية التي اعتمدته فيما بعد مُحررًا ثقافيًا. ثم توالت كتاباته، فصارت له شهرة واسعة بعد أن ذاع صيته، ولاقت أعماله الأدبية رواجًا كبيرًا، وخصوصًا إبان فترة الركود الأقتصادي الذي شهدته أُستراليا أواخر القرن التاسع عشر.
عبر ولسن في كتاباته عن مشاعر الأستراليين ولاسيما القرويين، وعن مُعاناتهم وصراعهم ضد الطبيعة في مُحاربة القحط والجفاف.
نظم بعض القصائد التي عكست ميوله السياسية وحسه الإجتماعي الشعبي، فأصبح في وقته شاعرَ أستراليا الشعبي ومُغني أمانيها.
ثم اتجه لكتابة القصة القصيرة، فطبعت مجموعته القصصية الأولى عام 1896، فلاقت رواجًا كبيرًا لم يكن يتوقعه ولسن، واستمرت كتابته القصصية، إلى أن تزوج من الآنسة "برتا بردت" وإنطلقا للعيش في غرب أُستراليا، ليستقر بهما الحال في نيوزيلندا وهناك عملا في مهنة التدريس. وبفضل زوجته أقلع عن الإدمان في نيوزيلندا، لكنه سرعان ما عاد إلى هذه الآفة

(الأدمان) بعد عودته إلى سدني 1898 فترك الإدمان آثاره السلبية على نتاجه الأدبي وعلى مسالك حياته.
بعد عودته من لندن مع عائلته، إنفصل عن زوجته، فأثر هذا الإنفصال والفراق في نفس ولسن، وظهر هذا في كتاباته التي سادتها الإنفعالية. ثم أستسلم للإدمان فغرق فيه ، فتدهورت حالته الصحية والنفسية وساء وضعه الإجتماعي، فأمسى مُتسكعًا في شوارع سدني التي كانت حزينة عليه، كان الناس يرونه وهو سكران، متسول، ضائع، منفوش الشعر، كواحد من المُشردين.
توضح الدراسات أن وطأة الحياة والظروف الصعبة التي شهدها هي التي قادته إلى الإدمان وهذه النهاية، ودراسة أُخرى ترى في فشل زواجه وموت صديقه الحميم"جناثورن برت" وحياة العوز التي ما فارقته أبدًا، وفشله في تحقيق إنجاز أدبي كان يحلم بتحقيقه، كلها عوامل وأسباب قادته إلى هذه النهاية.
وللتاريخ نقول إن ولسن، رغم حالته هذه، لم يفقد حضوره لدى القراء كاديب وشاعر، فكانت قصائده الوطنية تُغني آمال الشعب مثل: (من أجل أُستراليا) و (يا جيشي العظيم).
بالرغم من دعم الناشر "جورج روبرتسن " وإهتمامه به وعمل على طبع مؤلفاته القديمة ، إلا أن ولسن كان مُتقاعسًا عن الكتابة.
عام 1921 أُصيب ولسن بنزيف دماغي شفي منه، ولكنه لم يعش طويلاً بعد ذلك، وفارق الحياة في الثاني من أيلول عام 1922.
لم تنسَ أُستراليا أديبها بعد موته، بل احترمته فكان أول من كرمته من المُبدعين، وأُقيم له نصب تذكاري في سدني، وظهر رسمه على الورقة النقدية من فئة العشرة دولارات الصادرة عام 1966.
وتناولت سيرته المسرحيات والأفلام السينمائية والمُسلسلات التلفزيونية.
وفي ملبورن أُنشئت "جمعية هنري ولسن الأدبية" لتُحيي ذكره سنويًا وتهتم بإعادة طباعة أعماله كلما نفذت.

وفي سدني.. إلى جانب تمثاله في "دومين" توجد مكتبة تحمل أسمه وجمعية تُطلق على نفسها إسم" جمعية هنري ولسن الأدبية". كما خصصت جامعة سدني جائزة أدبية تحمل اسمه.
هكذا عاش ولسن رغم ظروفه القاهرة وغير المستقرة، بين رحاب الإبداع، فاستطاع أن يسبر أعماق الحياة الأسترالية ويترجمها قصصًا أدبية وفنية.

كان نموذجًا للإنسان والأديب المُتألم. كان نموذجًا للتحدي الذي لم يستسلم للألم وللمُعوقات التي اعترت طريقه، بل أبدع وإنتج ودخل التاريخ كأديب بارز من أدباء أستراليا.

المُبدع شمعة تشتعل وتتوهج من أجل أن تُنير دروب الآخرين.

الخاتمة

لم يعد لديّ ما اقدمه ككاتب، عليّ أن أتوقف وأقول في نفسي دومًا يا ليت يعود الزمان بي إلى الوراء لكنتُ أعدت إصدار جميع مؤلفاتي التي صدرت والتي يصل عددها إلى 20 مولفًا، بالرغم من أنني في الثالثة والثلاثين من عمري، والبعض منها طبع أكثر من طبعة وفي أكثر من بلد ونفذت مُعظم الطبعات، لكنني لأ زلت أحس أنني لو فعلت هذا سوف أستطيع أن أعبر بشكل أدق عما أردت قوله للقراء، ولتمكنتُ أيضًا من أن أعبر عن نفسي بشكل أفضل، وأجعل نفسي أكثر وضوحًا وأكثر فهمًا لقرائي الأحباء. هذا هو الهاجس الذي يراودني ويُطاردني دائمًا.

أشعر بنفسي وكأنني أحاول سكب أفكاري وخبراتي الحياتية من زجاجة عطر كبيرة جدًا في زجاجة عطر صغيرة للغاية، فيسقط في داخلها أقل القليل منها، ويسيل مُعظمها على جوانبها ويتبدد في العدم.

المُبدع سواء كان مُفكرًا أو مُصلحًا أو كاتبًا مُتميزًا أو أديبًا أو فنانًا، يحس دائمًا بأن أفكاره وخبراته الحياتية تتلاطم في داخله، وتبحث عن نفق تخرج منه إلى النور، فإذا أفرزها، تعذب دائمًا بإحساسه بأن ما أراد أن يقوله ويوصله للقراء أقل بكثير مما استطاع. وقد يكون العذاب أشد حين لا يجد من يتبنى نشر أفكاره ونتاجاته، أو عندما يُساء فهم أفكاره من قبل بعض الجهلة أو أنصاف المُثقفين، أو عندما ينتابه الإحساس بإنه لم ينل ما يستحقه من التقدير، أو بسبب دوامة القلق: كيف ستكون ردة فعل القراء على ما ينتج؟ أو مُعاناته بسبب غيرة أعداء النجاح والتميز والإبداع الذين هم أشبه بالجنود المرتزقة الذين يطلقون الرصاص دون أن يكون لهة حجة أو قضية سوى الغيرة والحسد والخوف من أن يُسحب البساط من تحت أقدامهم!

ألم أقل في بداية الكلام إنه عذاب وترقب مُستمر، فيه إستهلاك للصحة والبهجة والسعادة، إنه عذاب المعرفة والخلق والإبداع، هكذا تكون ولادة الأفكار القيصرية عند المُبدعين. وعلى هذا الشكل تكون مُعاناتهم.

صدقوني إنّ النجاح التام يعني إنتهاء "مأمورية" الإنسان في الحياة، تمامًا كذكر العنكبوت، الذي تنتهي مأموريته في الحياة حين ينتهي من تلقيح الأنثى.
كثيرون أبدعوا لكهنم تعذبوا، وليس هُناك من مُبدع لم يعرف الألم، فكما أن الحبّ هو الصليب كذلك هو الإبداع، فكل إبداع ولادة، وكل ولادة مخاض، ولكلّ مخاض عذابه الخاص ومُعاناته، فإذا كانت المرأة تتعذب بالولادة بضع مرات في حياتها، فإن الأديب والكاتب والمُفكر والفنان يتعذبون كل يوم إلى نهاية العمر، لأنهم يعرفون كثيرًا ونظرتهم للحياة مُختلفة وأكثر عمقًا وحسًا ودفئًا؛ نظرة تجعلهم يبدعون أكثر، وولادة الأفكار القيصرية مُستمرة عندهم! ويستمرون بالشقاء بسبب أفكارهم ونظرتهم للحياة وأطروحاتهم الجريئة، فنظرتنا للحياة تنبع من عمق إكتشافنا لها، واستيعاب ما هو جوهري فيها، وليس كل البشر قد أختبروا الحياة واكتشفوا قيمتها! ويشقى المُبدع حينما يرى ويدرك معاني الحياة بشكل مُختلف عن الآخرين أو قد يشقى عندما يشعر بأنه غريب ومُختلف عن الآخرين.
ويشقى المُبدع أيضًا حينما يشعر بالعجز عن الإستمرار في الإبداع، أو انه لم يعد لديه ما يقوله وما يكتبه أو يبدعه للأخرين، أو لديه ما يقوله، لكنه لم يعد قادرًا على أن يعبر عن نفسه بنفس الإبداع السابق. هذا هو حال المُبدعين! لقد عانوا في حياتهم، لكنهم بحكم هذه المُعاناة عاشوا ولادات جديدة من خلال ما تركوا لنا من اعمال ونتاجات خالدة فخلدتهم وأدخلتهم التاريخ من أوسع أبوابه. لقد تهمشوا في حياتهم وكرموا ما بعد مماتهم، لقد ذاع صيتهم وانتبه العالم لهم ولإنتاجاتهم بعد رحيلهم لدار البقاء، المهم أنهم ابدعوا وتركوا اثرًا بعدهم، وكم جميل أن يكون للإنسان أثر خالد في الحياة.
فيا ليتك، قارئي العزيز، تكون من المُبدعين الخلاّقين، لأن من لا يُبدع وينتج ويثمر ويستثمر حياته لخيره وخير الآخرين لا يستحق الخلود.
أملي أن تكون أنت وأنا والناس أجمعين من الخالدين.

يوسف جزراوي
2011/10/17

وجوه مُختارة

كان الحضور السماعي اثناء الانصات لراديو اس بي اس يوم 6/6 فقد كان هناك لقاء ممتع مع أحد الكهنة الشباب واسمه الاب يوسف جزراوي، ولاول مرة اسمع بأسمه قد قدم على استراليا من هولندا منذ بضعة شهور واصله من العراق وهو مواليد 1978 ولكن لديه لحد الان 17 كتابا مطبوعا غير اثنين مخطوطين! وعندما استغرب المذيع ذلك النشاط اجاب أنه يأتي من الرغبة الذاتية الملحة في التاليف مشفوعة بتأييد وتشجيع أساتذته في المعهد الكهنوتي. وكان الحوار معه مفيدا وجذابا لكونه يحمل روحا انسانية مثالية وحب للعلم والمعرفة بشكل يثير الاعجاب خاصة في مثل حداثة سنه الصغير نسبيا.

دعا الاب يوسف إلى التفاعل مع التكنولوجيا الحديثة للاغراض السلمية والانسانية وفي خدمة البرامج التربوية، اي استغلالها لخدمة الانسان وتطويره، كما انه يدعو الى التعليم والتعامل مع الجيل الجديد وفق تقاليد العصر وما استحدث معه من تقاليد ومعارف جديدة، وحديثه ذكرني بعبارة الامام علي(ع) الشهيرة: لا تعاملوا اولادكم على عاداتكم فهم مخلوقون لزمان غير زمانكم! وهي عبارة عامة لا تخص بمجتمع أو فئة أو حقبة زمنية محددة بل لجميع البشر وخلال مسيرتهم في الحياة! والاكثر من ذلك أنه يرفض التقليد وبخاصة تقليد اشخاص اخرين في مسيرتهم الحياتية ويحث على ان يكون لكل انسان خصوصيته وتفرده في اختياره ما يريد بشكل يناسب قدراته وحاجاته....

نقلاً عما كتبته الموسوعة الحرة (مدونة على شكل موسوعة حرة مختصرة)

مذكرات من بيت الإغتراب (الحلقة 8)

8 حزيران 2011

الجديرون بالإكرام

توفيق لابا سركيس/ كاتب لبناني

من تعرف على الأب يوسف جزراوي إما على الصعيد الشخصي أو بواسطة مؤلفاته سيصرخ مع أبن سيراخ:" لنمدح الرجال العُظماء..". نعم انه كاهن في ريعان الشباب، وجه ثقافي وقيادي بارز، عاشق الحرية والإنفتاح والثقافة والتجدد ويوكد على الخصوصية الذاتية للإنسان، ومؤلفاته التي تفوق العشرين كتابًا إلا دليل على سعة ثقافته، وغيرته الرسولية، وإستعداده الدائم للعطاء.

إنه الصوت الصارخ في ارجاء الإغتراب ....إنه أبن الكنيسة الشاملة الذي يؤمن بالإنسان على تمايزه، وهو مثل مُعلميه الذين تميزوا بقوة الكلمة وجراءة المواقف وحرية الفكر وبلاغة الحكمة وتجدد الحياة والكفاح والنضال في سبيل الكلمة وسعادة الإنسان وخلاصه.

يؤكد الأب يوسف في كتابه هذا أن العظماء الذين رحلوا كانوا شعلة أمل وعطاء رغم معاناتهم في الحياة. وهؤلاء الراحلون ستبقى ذكراهم خالدة في القلوب.... نستلهم آراءهم، ونتعلم من خبرات حياتهم، وكأنهم ما زالوا معنا.

إنَّ كتابات الأب جزراوي الروحيّة والفكريّة والإجتماعيّة هي نتيجة تفكير طويل وتأمّل دقيق وأختبار شخصي وطيد، كتاباته تحمل في طياتها إلى إنسان اليوم وبخاصة الشباب ما عليهم أن يروه بأم العين ليستعملوا حريتهم بنحو صحيح وسليم.

يوسف جزراوي، الكاهن الإنساني، المفكر والكاتب الامع، يُعرفنا في هذا الكتاب ويدعونا من خلال شخصياته إلى أعلان الحق والحقيقة، والدفاع عن القيم وعدم الإستسلام لصعوبات الحياة. وإن قيل ان هُناك رجال رحمة وأعمال برهم لن تُنسَ، حتّى وأن دفنت أجسادهم لكن أسماؤهم وماثرهم تحيا مدى الأجيال، فأن الأب يوسف جزراوي من هؤلاء العظماء، فهو باحث دؤوب وكاتب له أسم كبير رغم صغر سنه. إنه الأب يوسف جزراوي الذي أهمل بناء الحجر مُهتمًا ببناء البشر، تاركًا جمع الفلوس، باحثًا عن بناء النفوس.

إنه رسالة نتمناها مثلاً أعلى لكل من ينشد الروحيّة والثقافة والتجدد والإلتزام.